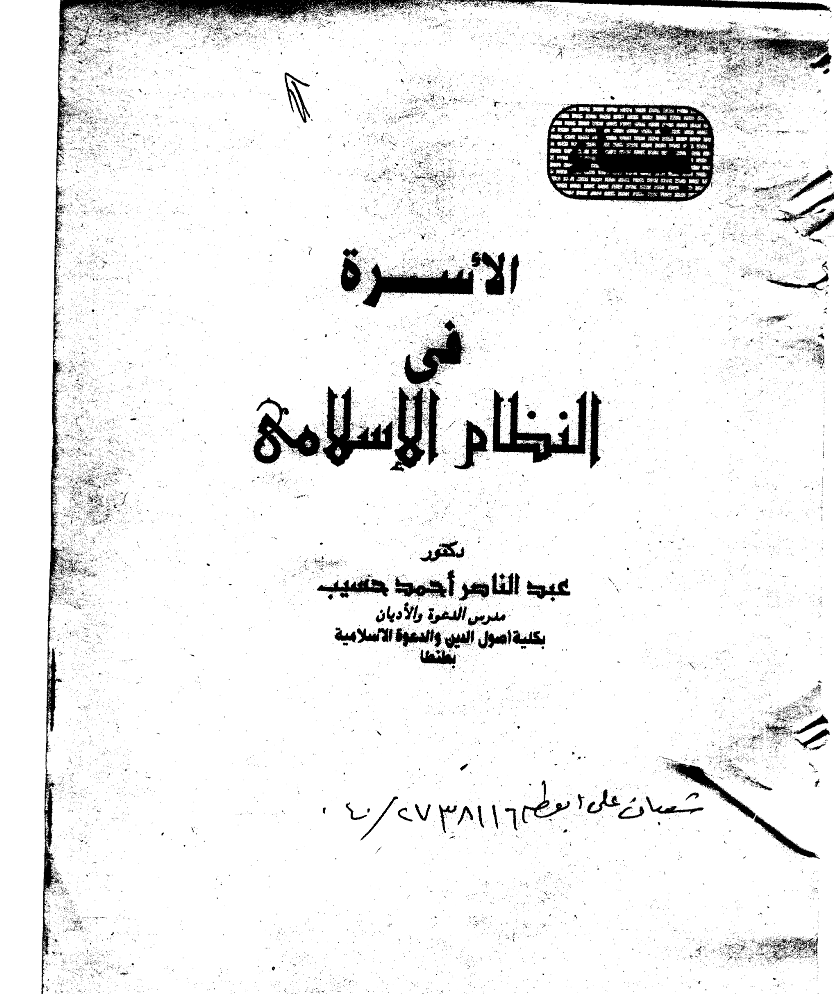
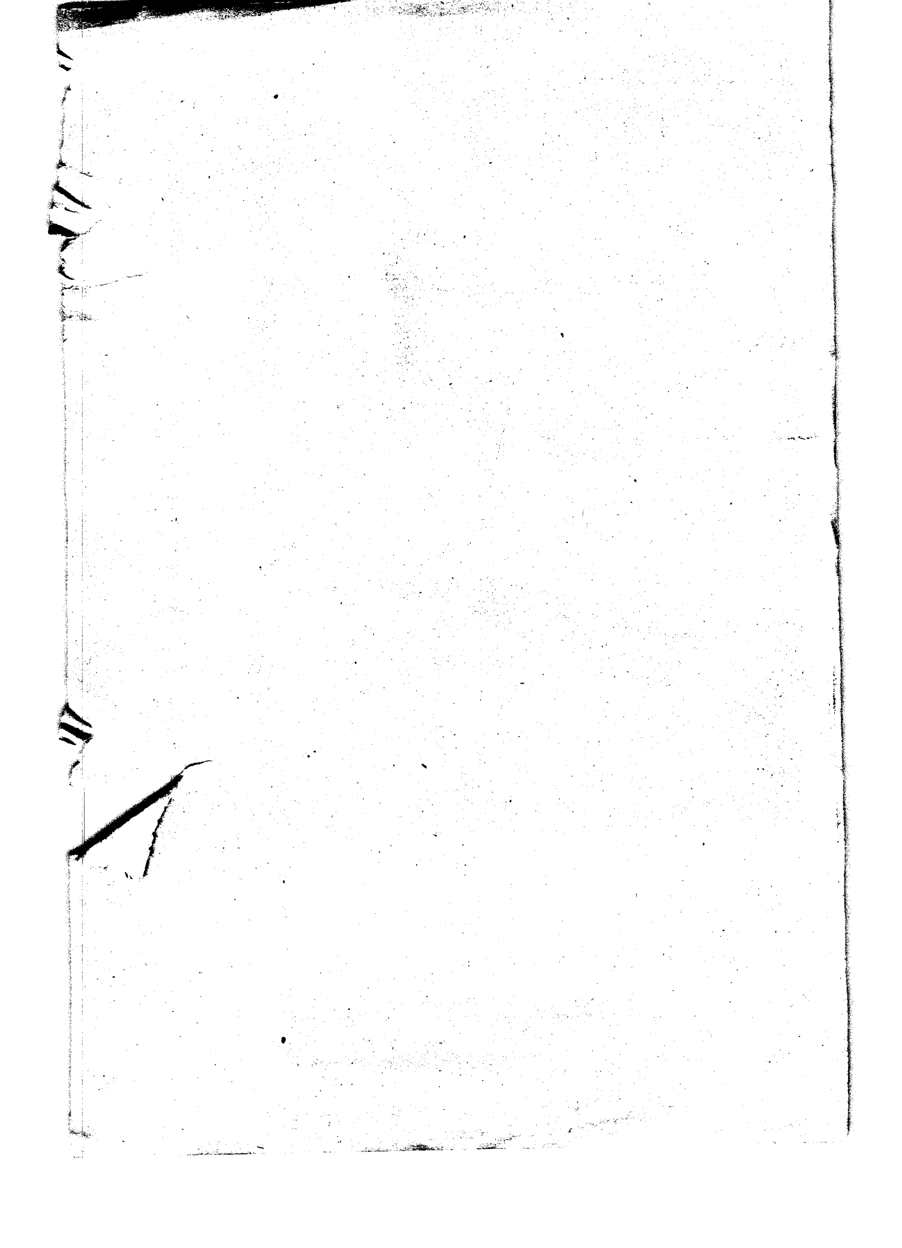


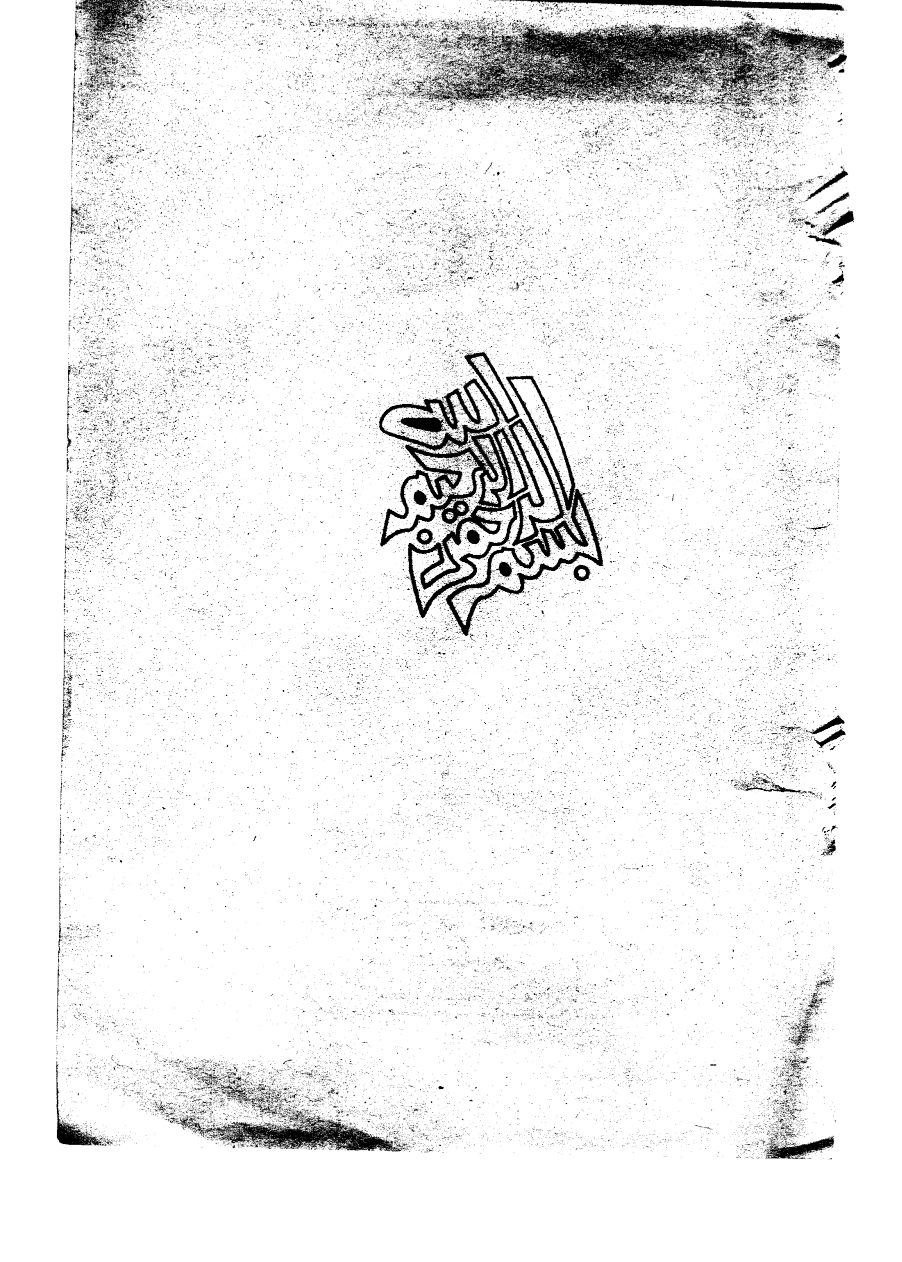
الأســرة في النظام الإسلامي

دكتور
عبد الناصر أحمد حسيب
مدرس الدعوة والأديان
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
بطنطا

شعبان علي أبو عطا ١٠٦٢٧٣٨١١٠/٢٠

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م




بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله الذي خلق فسوى وقدر فهدى ، وأعطى كل شيء خلقه ، وقسم الاخلاق كما قسم الأرزاق . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي جعله الله عز وجل باب الهداية للضالين ومكمن الرحمة للشاردين ، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، عليه وعلى آله وأصحابه ومن والاه من السابقين واللاحقين الى يوم الدين .

وبعد :

فهذه دراسة من النظم الاسلامية أقدمها بين يدي الله عز وجل قاصدا بها وجهه الكريم ، ودعوة المسلمين والمسلمات – وغيرهم من العالمين – الى صراط الله المستقيم .

وقد كتبتها خصيصا لطلاب وطالبات قسم أصول الدين بكليات جامعة الازهر الشريف ، عسى أن ألقى بها ثمرة المحسنين ، والداعين المخلصين في الدنيا ويوم الدين . وقد آثرت فيها الكلام عن النظم الاسلامية من حيث تعريفها وأهميتها ودراستها مركزا على اثبات أهميتها من خلال خصائص ومميزات النظام الاسلامي مع وضع بعض المقارنات بين النظ

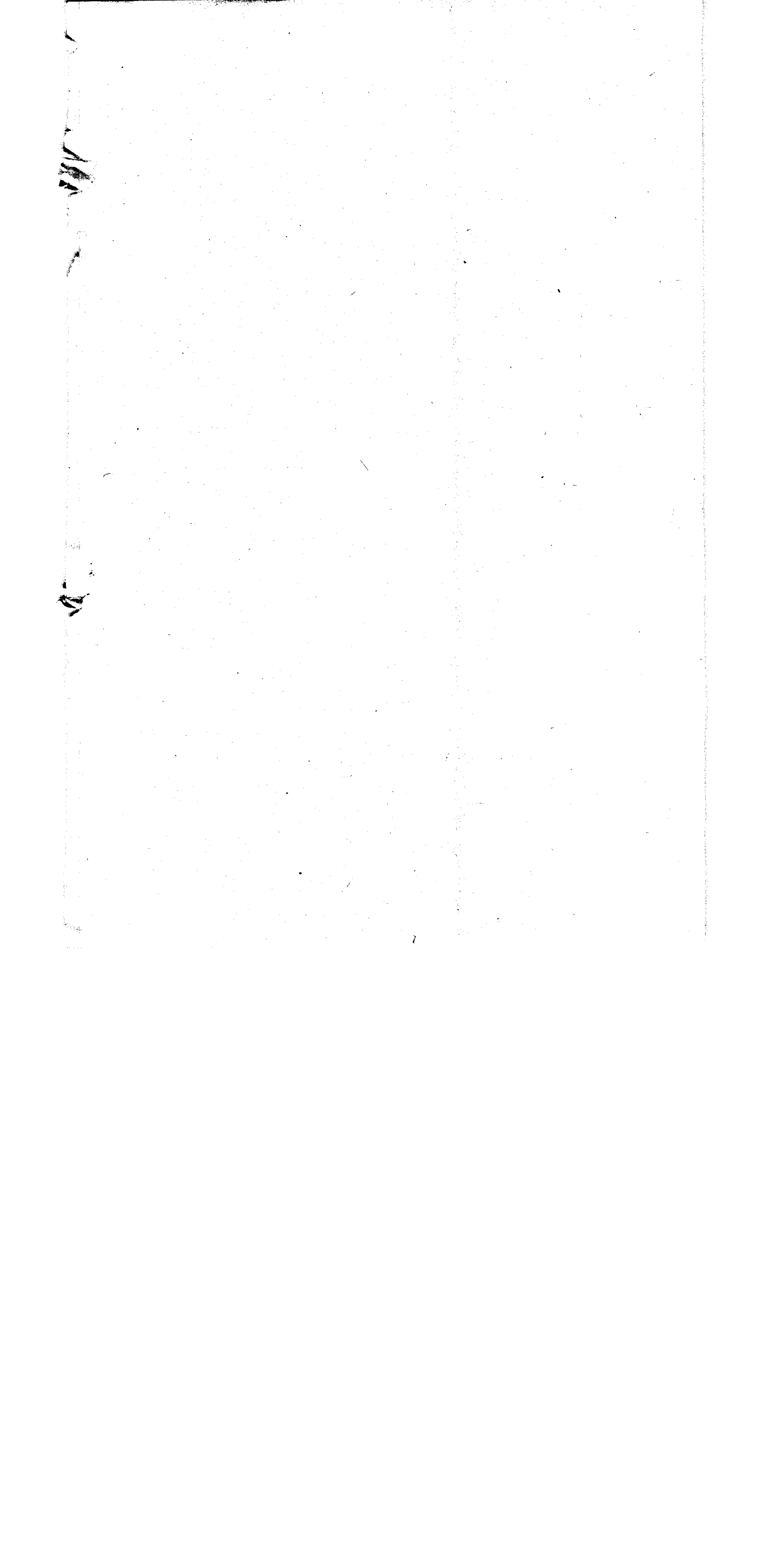
الاسلامى والنظم الوضعية وشبه الوضعية الاخرى • ثم تناولت النظم الاسلامية بشأن المرأة سواء فى اطارها العام أو الخاص • ذلك لتعرف المرأة المسلمة فضائل الاسلام عليها وعلى أختها فى العالم كله • حتى لاتنخدع بما يدبر لها • وما يسلط عليها من تيارات أوربية • باسم الحضارة والمدنية ولتدرك أن المرأة ماكانت لتنال شيئا قط فى العالم • ما لم يأت القرآن الى الحياة لينظم لسائر أفرادها حركتهم فى الحياة • ولتستطيع التصدى لكل من يتجنى بسببها على الاسلام •

وقد خصصت الاطار الاول من هذه الدراسة بطلاب وطالبات القسم الاول • كما خصصت الاطار الثانى منها بطلاب وطالبات القسم الثانى • راجيا الله عز وجل أن ينفعنى واياهم بما قدمت وأن لا يحرمنى فيه أجر المجتهد على أى حال • ولولا ضيق المقام لكان الحظ أوفر والعطاء أكثر • فلتقبلوا هذه العجالة والله من وراء القصد • وهو نعم المولى ونعم النصير •

الفصل الأول

مدخل لدراسة النظم الإسلامية

التعريف بالنظم الإسلامية وخصائصها



تعريف النظم :-

ان من حق الدارس لأى فن من فنون العلم أو لون من ألوان الثقافات أن يتعرف بداية على ماهية هذا العلم قبل أن يتطرق الى دراسة جانب من جوانبه أو الى جملته . ونحن فى بداية هذه الدراسة يجب أن نضع بين يدى طلاب وطالبات العلم تعريفا لما نحن بصدد دراسته وهو مادة النظم الاسلامية فما هى ؟

النظم فى اللغة :- النظم لغة جمع مفرده نظام وهو مشتق من نظمت الشيء اذا جمعته وضممته فأقول نظمت العقد اذا جمعت أفراد حباته وضممتها واحدة الى الأخرى . وأقول : نظمت الشعر اذا ركبت كلماته وراعيت قواعده وبحوره وأوزانه . وأقول : نظمت الشيء " بالتضعيف " اذا رتبته ونسقته ووضعته فى الهيئة التى لا بد أن يكون عليها لو لم يكن عليها .

وعلى هذا يكون النظام هو الشيء المرتب المنسق المجموع أطرافه بعضها الى بعض .

النظم اصطلاحا :- أما في الاصطلاح . فالنظم "هي مجموعة القوانين والأحكام أو التشريعات التي وضعت لتنسيق وترتيب حركة الانسان في الحياة" .

والتعريف السابق في جملته هو تعريف عام يخلو من كافة المحترزات ولا يفرق بين النظم الالهية والنظم البشرية الوضعية بل ويجعل كليهما في مرتبة واحدة . ومن ثم فالتعريف كما نراه - قاصر عن الوفاء بمقتضيات الاسلام من معرفة وهو ما يدعو لمعالجته بالضرورة الى ادخال اضافات عليه ليكون جامعا مانعا حتى لا يدخل فيه ما عداه من نظم وضعية بشرية الطابع .

النظام الاسلامي :- هو القاعدة الالهية الثابتة التي تنظم حركة الحياة والتي لا غنى للبشرية عنها" .

أو هو " مجموعة القوانين والأحكام والشرائع الثابتة بالوحي الالهي التي تنظم حركة الحياة وتضبط كافة العلاقات بما لا غنى

للبشرية عنه في سعيها نحو الفلاح في الدارين .

ويتميز النظام الاسلامي في جملة بناء على ماسبق في التعريف عن غيره من سائر النظم الأخرى بميزات هي خصائص له لا تفارقه نذكرها فيما يلي :-

خصائص النظم الاسلامية وميزاتها :-

أولا : ربانية المصدر :- وهو مايعني خلو هذه النظم من أهواء البشر والمصالح الفردية ، وحرصها على احترام عقل الانسان والتكفل بتمام الحرية له ، لأنها صادرة عمن لا مصلحة له في اذاعتها لأن من صدرت عنه غني بالذات وليس في حاجة الى من سواه ، وبالتالي فما صدر عنه - جل جلاله - من وحي لرسله وأنبيائه من تنظيم لكافة حركة حياة الانسان عبر الزمان كله حتى كان تمام الوحي وكماله وختمه بنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وما حواه من أخبار السابقين وحاجيات اللاحقين - انما قصد به تمام منفعة الانسانية وصلاحها واستقامة أمرها على صراط الله

المستقيم ومصداق هذا قوله عز وجل :-

(وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له مافى السماوات ومافى الأرض الا الى الله تصير الأمور " . " سورة الشورى آية : ٥٢ ، ٥٣ ")

والفرق بين ربانية النظام فى مصدره وبين بشريته ، هو أن التشريع المدنى (الوضعى) للعلاقات فى عمومها وبين الأفراد فى خصوصها ، يقوم على أساس أن الروابط بين بعضهم بعضا تحكمها مقاييس انسانية بشرية بحتة تختلف وتتقلب بتغير الظروف والأحوال - أى يحكمها المستوى الانسانى البحت بخصائصه المميزة فوق الأسرة والقبيلة ... والشعب ... والعرق - أو الأصل ، وذلك بخلاف ماهى عليه فى النظام الربانى ، فأساس الروابط الانسانية فى رسالة القرآن هو الايمان بالله وحده ، مشرعا عادلا لمنهج متكامل الجوانب " اليوم أكملت لكم دينكم

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا " . وما ذلك الا لأن الايمان بالله وحده ينطوي على الايمان بالقيم العليا والمثل الرفيعة ، التي يسعى العابد الى الاقتراب منها بانتظامه في سلك المنهج الرباني القويم . " ذلك الدين القيم " .

ثانيا : نورانية المنهج :- وهي صفة الوحي الالهي للمنهج الاسلامي في نظمه التي تستوعب كافة مجالات الحياة الانسانية ، وقد ورد التصريح بهذه الخاصية للنظم الاسلامية في أكثر من موضع في القرآن الكريم منها :-

أ - قوله تعالى (ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) " سورة الشورى آية رقم ٥٢ " .

ب - قوله تعالى (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) سورة الأعراف الاية ١٥٧ ")

جـ - قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا . فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما) سورة النساء

وعلى المقابل من هذا نجد رب العزة - جل جلاله - قد وصف من يترك نظمه ومنهجه ويتخلى عن قاعدة الالتزام بها بالتيه والضلالة في الحياة مثله في ذلك مثل من يتخبط في الظلمات ليس بخارج منها ، أو كمن خر من السماء فتخطفته الطير أو هوت به الريح في مكان سحيق .

انها ظلمات جهل الانسان بما يصلح الانسان ، وانحراطه في دائرة الخيالات والخرافات والافتراضات الجدلية ، والنظريات الفلسفية ، التى تهوى بأرباب الاعتقاد فيها الى الدرجات الدنيا في كل زمان ومكان .

يقول الله عز وجل : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون " سورة الأنعام آية رقم ١٢٥ " .

ويقول تبارك وتعالى : " أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك

فى ضلال مبين " سورة الزمر آية رقم ٢٢ " .

ويقول تعالى : " أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون " سورة الأنعام آية رقم ١٢٢ .

ويقول تبارك وتعالى : " واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب " الحج الآيات رقم ٣٠ - ٣٢ .

والآيات فى جملتها واضحة الدلالة ، واضحة المقارنة بين صفة نظم الله ومناهجه وبين نظم البشر ونظرياتهم ، كما أن النص على عاقبة مجافاة النظام الالهى واضح الدلالة أيضا ومن ثم نقول إن اتباع المنهج الالهى فى تنظيمه لحياة الانسانية وعلاقاتها ضرورة لفلاحها ان أرادت تحقيقه لذاتها دون الخلط بينه وبين غيره من النظم الوضعية الأخرى .

ثالثا : ثبات المنهج :- " لا تبديل لكلمات الله " عبارة ربانية تتلألأ نورا تضمن للانسانية الثبات على النظام وما كان الثبات ثباتا ولن يكون الا اذا كان المنهج قائما على الحق ، مرتكزا على الصدق وهذه لن تجدها أبدا فى نظم البشر لأنها قائمة على العقل القاصر ، والحس المتغير من بيئة لبيئة ومن زمان الى زمان ومن ثم فان الحق والصدق فى المنهج المتضمن صلاحية النظام يستحيل صدورهما الا من قبل العليم الخبير ، لأنه هو وحده الذى يعلم دقائق الأمور وما يلزم منها لمقتضيات صلاح الانسان فى أى زمان وفى أى مكان وهو وحده الخبير بمستحدثات الأمور وكيفية كينونتها ومحاور التعامل معها ، فمن سواه يبصر الانسانية وينظم لها حركة حياتها فى ثبات لا ينغص عليها كيانها ؟ فاذا كان المنهج ضرورة للانسانية فثباته أكثر ضرورة ، ولا يضمن ثبات المنهج الا الله لأنه تعالى هو وحده العليم الخبير ، ومن ثم فهو وحده الأعلم والأخبر بمقتضيات صلاحيات خلقه ونظام الارتقاء بصنعته :-

" ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " سورة الملك آية:

رابعاً : ضرورة الحاجة اليه :-

لا غنى للبشرية مطلقا فى أى زمان ومكان عن أن تسلم تسليما كاملا لمنهج الله ونظامه العادل فى تقويم كيان الانسانية وضبط حياتها ، وهذا هو الواقع الذى أثبتته التجربة البشرية حيث سقطت كل الأنظمة سقوطا ذريعا لا هوادة فيه ، والنظام الاسلامى شامخ فى سماء الحياة كما هو ، ثابت باق ببقاء الزمان ، وليس هذا فحسب بل ومتحد لكل النظم الايديولوجية فى تحقيق صالح الانسان على عمومه .

ضرورة الحاجة الى النظام الاسلامى يكشف مساوئ النظام الليبرالى الديمقراطى :-

وقد يكون كلامنا الى هذه اللحظة إنشائيا أو ادعائيا مالم يقترن بالأدلة اليقينية ، وبنظرة متأنية فى بعض النظم التى تناوئ النظام الاسلامى فى العالم على سبيل المثال " النظام الرأسمالى والنظام الشيوعى " والذى سقط مؤخرا بفضل الله سقوطا ذريعا ، وبان فشله فى تحقيق آمال من عكفوا على محرابه من البشر .

نجد أن كلا المذهبين قد قام كرد فعل للآخر من أجل السباق على الثروة وجمع المال ومن ثم حدثت بينهما خصومة فكرية فضلا عن الخصومة الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية .

" وعن التسلسل فى منطق كل من الايديولوجيتين وعن ممارسة التطبيق لهما نشأت خصومة مذهبية حادة بينهما بعد أن مهد لهما أصل واحد هو الكفر بالدين " والاستقلال

من الكنيسة ومن توجيه الدين .

فالحرية الفردية التى استخلصها نظام العلمانية من استقلال الدولة من الكنيسة وصلت بالممارسة والتطبيق العملى لها الى احتكار الرأى والفكر واحتكار السياسة والتوجيه واحتكار المال .

ومعنى الاحتكار فى أى من هذه الجوانب فى حياة الانسان هو الحد من الحرية الفردية لآخرين من جديد ، وفرض التبعية على من عدا المحتكرين فى المجتمع مرة أخرى ، وان كانت هذه التبعية فى صورة غير التى كانت عليها على عهد الكنيسة فى القرون الوسطى وقبيل قيام الدولة الحديثة ونظام العلمانية .

وكان لاحتكار المال الغلبة والسيادة على مجالات الحرية الفردية الأخرى ، وأصبح احتكار المال بعد التخلص من سيطرة رجال الكنيسة وتسلطهم - ومن الدين كله بالجمود بسببهم - هو المحرك لاتجاهات التفكير والسياسة والتوجيه ، كما

أصبح رجال المال هم العصابة التي تحكم وتوجه في واقع الأمور داخل الدولة والمجتمع ، في ظل النظام الديمقراطي الرأسمالي وأتساع التقدم الصناعي والتكنولوجي ، والتقدم العلمي في وسائل التجارة وتنشيط حركة المال ، الفرصة لأن يزيد الاحتكار للمال في قوته ، وفي احكام الرقابة والتسلط به على أوجه النشاط الانساني في المجتمع ، وبذلك أصبحت الحرية الفردية التي نادى بها أصحاب النظام الحر قصرا على أصحاب رؤوس الأموال وصار من سواهم عبيدا لأموالهم .

اذ أن رأس المال قد صار صاحب السلطان والسيطرة وحده في ممارسة الحرية داخل المجتمع ، وذلك في الوقت الذي أصبحت الدولة فيه تتكفل بضمان هذه الحرية الفردية على اطلاقها لرأس المال في الاستثمار والاستغلال ، وعرفت ممارسة الحرية على هذا النحو في المجال الاقتصادي بـ " الاقتصاد الحر " وعرفت المباشرة

كمذهب واتجاه باسم " الليبرالية " .

وهذا المذهب في الاقتصاد وان كان يساعد على جمع المال وتكديسه في أيدي قلة قليلة في المجتمع ، ويعين على تمكين هذه القلة وحدها من ممارسة الحرية ، فانه من وجه آخر يساعد على افقار الكثرة الكثيرة فيه ، وعلى الحيلولة دون مباشرتها الحرية الفردية في التطبيق العملي ، بسبب الحاجة الى العمل والمال .

وجمع المال وتكديسه في ملكية أفراد قليلين من شأنه أن يبعد الفرد في توجيه المال للمصلحة العامة ، ويحمل على بقائه في دائرة المنفعة الشخصية ، سواء أكانت منفعة مادية في ترف ولهو أو منفعة أخرى في جاه وممارسة سلطة ونفوذ سياسي .

واذا بقى الانسان في دائرة المنفعة الشخصية بتصرفه ،

فإنه كثيرا مايطغى بهذا التصرف وينحرف فيه ، ومعنى الطغيان والانحراف هو الاعتداء على آخرين ، إن فى حقهم ، أو فيما يجب نحوهم من صنوف الرعاية المختلفة .

وهذا كله بالاضافة الى أن الانحراف سيجر الى الاعتداء على من يمارسه نفسه اعتداء عضويا فى بدنه وصحته أو اعتداء نفسيا فى وقوعه تحت الشعور بالخوف والقلق بسبب المال ، إن فى الحصول عليه أو فى فقده على السواء .

ولأن الحرية الفردية فى النظام الليبرالى والعلمانى الرأسمالى ، قد أدت الى الطغيان والتسلط واستغلال الآخرين عن طريق رأس المال ، والى فنائها ذاتها وعدم وجودها فى واقع الأمر بالنسبة للاكثرية الغالبة فى المجتمع ، لم يشأ نظام الالحاد الايديولوجى " الشيوعى " على عهد "ماركس" أن تكون النتيجة لاستقلال الانسان عن الكنيسة هى الحرية الفردية ، كما حدث فى دول الكتلة الغربية ، وذلك بإبعاد الدين

- كل الدين - من التوجيه ، في جميع مجالات الحياة للمجتمع ، وانما استعاض ماركس عنهما كليهما بأن جعل " الحرية الاجتماعية " هي تلك النتيجة التي يجب أن يحققها هذا النظام الجديد الذي قام مواكبا للنظام الليبرالي وكرد فعل له .

ضرورة الحاجة الى النظام الاسلامي بكشف مساوئ النظام الشيوعي :-

والباحث فيه يرى أن بداية الحرية في النظام الالحادي الايديولوجي أو الشيوعي " ليست الفرد ، وانما هي المجتمع . ومن المجتمع الى الفرد ، وليس من الفرد الى المجتمع .

والحرية الاجتماعية تعني في الدرجة الأولى تحرر المجتمع من الاستغلال الاقتصادي وهو الاستغلال الذي يصحبه - أو يقوم على - سلب الحرية الفردية للاكثرية الغالبة في المجتمع ، عن طريق جمع المال قهرا بأساليب مختلفة ، وتكتيله في أيدي قلة قليلة من الأفراد ، وهم أصحاب رؤوس الأموال

تطبيقا لنظام الاقتصاد الحر .

وتحرر المجتمع من الاستغلال الاقتصادي يساوي في نظر الالحاد الايديولوجي القضاء على الرأسمالية واختفاءها من مجال النشاط الاقتصادي كله ، والقضاء على رأس المال بدوره لا يتم في نظر الماركسية صاحبة النظام الالحادي الشيوعي هذا إلا إذا حلت الملكية العامة محل الملكية الفردية ، واباحية هذه الممتلكات لكل الأفراد دون ما ضابط أو رابط ، وهو أمر يدعو الى التدمير لا البناء ، والى الفقر لا الاغتناء وبضدها تتميز الأشياء .

وليس هناك في نظر هذا النظام طريق آخر : من تربية أخلاقية واجتماعية أو من اجراءات أخرى تحول دون تكديس المال في يد قلة ، ثم صيرورته الى الطغيان وتفشي الفساد والاستغلال والاباحية .

وبذلك اختلفت البداية في كل من النظامين ، كما اختلفت الغاية كذلك ، ويمكن بناء على ما سبق استخلاص ما يأتي :ـ

١ ـ أن رفض الدين كله باسم الحرية في الاستقلال عن الكنيسة وعن الدين هدف النظامين معا ، والسبب في ذلك عجز اليهودية والمسيحية في صورتهما الحالية عما عن تقديم نظام يصلح شأن الإنسانية .

٢ ـ أن النظام الليبرالي الغربي جعل حرية الفرد أساسية لنظامه وحرية المجتمع تبعا لحرية الفرد ويمكن التغاضي عنها طالما كان ذلك مصلحة للفرد .

٣ ـ أن النظام الشيوعي الالحادي الشرقي جعل حرية المجتمع هي الأساس ولو على حساب كل الأفراد للتخلص من سيطرة رأس المال ، ومن ثم فحرية الفرد تبع في النظام الالحادي الشيوعي .

وقد أثبتت الأيام فشل هذا وذاك ، ولا أدل على ذلك

من تفتيت ماعرف باسم الاتحاد السوفيتى، الذى كان يضم العديد من دول الكتلة الشرقية فى داخله ، كما تبعه فى نظامه العديد من الدول الأخرى فى أوربا وغيرها ، واذا بنا نرى هذا النظام الذى ظهر متماسكا ومؤثرا بفكره لفترة طويلة من الزمان ينهار بين يوم وليلة فتفتت دول الاتحاد السوفيتى الى دويلات مستقلة ، وينحل كذلك اتحاد دول يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ويثور الألمان الشرقيون فيهدمون سور " برلين " ليوحدوا شطرى ألمانيا الذين فتتهما النظامين معا الليبرالى والشيوعى ، وغير ذلك الكثير والكثير وهكذا سقطت الشيوعية .

ولكن للأسف هرب أتباعها من النار الى النار ، من الشيوعية الفاشلة الى الرأسمالية الظالمة المدمرة ، المستغلة المتسلطة التى تغسر كل شىء لصالحها فحسب وليكن مايكون للآخرين .

جريمة الاتجاه الى النظام الرأسمالي بعد سقوط الشيوعية والاصرار على اقصاء الدين الحق ورفض نظمه :-

ان المجتمع الغربي الذى كفر بالدين كله ، ورفض النظام الشيوعي أيضا بعد تأكده من فساده ، وسارع نحو النظام الليبرالي تاركا الدين الحق وما حواه من نظم تأخذ بالبشرية الى بر الأمان ، بحجة أن النظام الرأسمالي الليبرالي قد كان في حيطة مستمرة من وضع قيود يخشى من وضعها الحد من هذه الحرية ، وصادفة الأساس الذى قام عليه النظام ذاته ، وهذه جريمة في حق البشرية لأن الحرية الرأسمالية لا تنتهي عند بداية حرية الآخرين ، وهو مايعنى أن الحرية عندهم حرية بهيمية غير مقننة ولا مقيدة وهو في حد ذاته مالا يتفق ومطلق اصطلاح النظام ، لأنها اذاً حرية غير مسئولة .

والنظام الرأسمالي كان وليد هذه الحيطة في الاباحية

المطلقة وعدم وضع قيود على ممارسة الحرية الفردية في مجال الاقتصاد ، رغم أن ذلك أدى الى نتائج سيئة أضعفت الروابط الاجتماعية في المجتمع .

وعلى هذا النمط اتجهت الحرية الفردية في التشريع وفي معايير السلوك والأخلاق وفي التعليم والتوجيه ، وخرجت كلها بعد جيل عن الرقابة الدينية في السلوك وعما يسمى بالضمير الديني في التصرفات .

والضمير الديني يتكون على أساس الخشية من الله ، وهو في واقعه ضمير انساني يحرص على أن يدفع صاحبه الى السلوك الإنساني المستقيم وفقا لما لله في صفاته كمعبود ، وفي رسالته في وحيه ومنهجه كدين جليل مهمته تنظيم حياة البشرية وتهذيب سلوكياتها وضبط علاقتها ، بما يرسم الخط المعتدل المستقيم في علاقات الأفراد بالأفراد والجماعات بالجماعات والدول بالدول ، ويحول دون الظلم والاعتداء والفرقة والتناحر ، وينشد

السلام ويدعو لانتظام الانسانية كلها في سلك الاسلام بالرحمة والحب .

وان من الظلم الواضح للاسلام أن يتم معاملته من كلا النظامين الشيوعي والرأسمالي بجفوة وقسوة اعتمادا على الرفض المطلق لكل ماهو دين ، والسبب في ذلك انما يكمن في تسلط رجال الكنيسة في الغرب وتشويههم لصورة الدين ، وعجز المسيحية عن مواكبة مقتضيات عصور الحضارة والتقدم والازدهار الصناعي والعلمي وما ذاك الا لكونها بعيدة كل البعد عن الوحي الالهي حتى بات من الظلم الواضح نسبتها الى الدين ، لأنها بذاتها قد صارت عبئا محسوبا عليه لا له . وسببا رئيسيا من أسباب قيام النظم الوضعية في العالم المعاصر ، والذى أدى بدوره الى شيوع أمور في العالم الغربي ماكان يمكن أن تحدث قط لو أبقت المسيحية على أصولها كدين يرتكز على الوحي الالهي غير المحرف أو المبدل وهذه الأمور التي شاعت في

العالم الغربي بسبب قيام هذين النظامين الشيوعي والرأسمالي

أذكرها فيما يلي :-

مساوىء صنعها النظام الرأسمالي على أرض الواقع :-

١ - ادمان المسكرات بين الكبار والصغار .

٢ - تعاطي المخدرات كالهروين والكوكايين بين الشابات والشبان

من طلبة الجامعات وتلاميذ المدارس الثانوية ، والتركيز على

أبناء ذوي الثروات لابتزاز أموالهم واستنفاذ مدخراتهم

وطاقاتهم ، حتى يمكن القضاء على خلايا البناء الذاتي في

البلدان المستقلة والتي لا تدين للرأسمالية بأولاء المطلق .

٣ - أصبح هذا وذاك يكون مشكلة اجتماعية خطيرة في البلاد

التي تتمتع بالرخاء الاقتصادي في المعيشة والتي تتزعم حركة النظام

الرأسمالي في العالم كالولايات المتحدة وانجلترا وسويسرا وبريطانيا ،

وايطاليا وغيرها . وما ذاك الا لأنه لا قيود على رأس المال

مطلقا وليست من أي سبيل .

٤ - شاع السحاق بين النساء ، واللواط بين الرجال في المجتمع الغربي المعاصر وهو مايسمى " بالشذوذ الجنسي " بحيث أصبح ينادي ذوي الرأي في المجتمع الغربي بإباحة اللواط بين البالغين عند اتفاقهم ، بشرط أن يكون في غير علانية ، وقد تقدم بالفعل بعض أعضاء حزب المحافظين في انجلترا الى مجلس العموم البريطاني في دورته (في نوفمبر ١٩٦٥م) بمشروع قانون يتضمن هذه الاباحة بعد أن تحمس جو مجلس اللوردات للموافقة على التعديل في دورته السابقة .

وبالفعل احتفلت الكنيسة في بريطانيا على مرأى ومسمع بزفاف أول رجل لرجل .. بعد صدور هذا القانون من مجلس العموم ثم ظهر بعد ذلك نوادي للشاذين جنسيا في العديد من دول الغرب المتقدم صناعيا ، المتخلف أخلاقيا ، حتى أصابهم وتفشى فيهم طاعون العصر " مرض الايدز " الذي حارت فيه أخصى رجالات الطب ، فهل الى مرد من سبيل ؟؟؟ ..

٥ - انتشار الاتجار بعرى النساء ، وظهور أجسادهن وعوراتهن بلا استحياء ، وفى أوضاع شائنة مع الرجال ، وفى الفاترينات ببيوت الدعارة المرخص لها من قبل النظام الرأسمالى ، وناهيك عن الصور المعروضة والمعلنة على مانشتات المجلات والتى تباع للثقافة العامة فى الشوارع مع باعة الجرائد ، أو تعرض فى أفلام صريحة بالسينما أو فى بلاء العصر الذى دخل كل البيوت تقريباً مايسمى " بالفيديو كاسيت " وفى امتدادات مايسمى فى الغرب بالموديل ، وفى السياحة على شواطئ معينة يروج لها بالدعاية فى وسائل الاعلام المختلفة .

٦ - شيوع الزنا بين المتزوجين والمتزوجات ، كما شاعت المعاشرة الجنسية قبل الزواج بين الشبان والشابات منذ سن مبكرة فى مرحلة المراهقة ، وهو مايعرف باسم " التجربة الجنسية قبل الزواج " ولقد ساد هذا الأمر فى الأوساط والمجتمعات الصناعية فى روسيا وأمريكا ودول أوربا كلها ، والسبب الرئيسى فى ذلك

هو الاختلاط في العمل ، والمساواة المدهاة بين الرجل والمرأة دون ما مراعاة للزمان ولا للمكان ، ولبدمر الانسان وتخرب البيوت ، وتمتلئ الحضانات بأبناء الزنا وبنات السفاح . المهم أن تمتلأ خزائن الرأسماليين نقودا ، ولتحيا الرأسمالية ولتهلك الانسانية غرقا في بحار الرذيلة ...

٧ - ان السلطة المختصة بمشكلة المراهقين والمراهقات تقول في تقرير رسمي : " ان حمل البنات غير المتزوجات ، ولا أمل لهن في الزواج بعد حملهن منهن يتزايد في الولايات المتحدة الأمريكية ، وان متوسط السن للامهات غير المتزوجات هو السادسة عشرة من العمر " ..

وتحدثت احدى المتخصصات في الطب في ندوة طبية بأمريكا فذكرت أن ستين في المائة (٦٠ ٪) من البنات اللاتي يعقدن قرانهن الآن في سن السابعة عشرة فأقل حوامل يوم زفافهن .

ولا عجب فمنذ ثلاث سنوات تقريبا رأينا وسمعنا على شاشات التلفزيون المصرى فى احدى نشرات الاخبار تالسائية خبر زفاف نجم الكرة الأرجنتينى الشهير " ديجو ماراد ونا " على أم بناته الثلاث وشوهدت البنات وهن يحملن ذيل فستان أمهن ، بعد أن أعلن زواجه منها وتولى القسيس بالكنيسة عقد أبو الفضيلة على أم الفضيلة ؟؟!!!!

٨ - تسببت الرأسمالية فى تتويه الشباب وجعلته فى وضع اختلطت عليه فيه الأمور فهو لا يدرى ، أيؤثر الرشاقة . . أم الثرثرة ؟؟ أم الزواج ؟ أيؤثر الرجولة أم الأنوثة ؟؟ لقد أذهبت عزته ومحقت كرامته ، وسحقت هامته .

٩ - ان الرسم البيانى للنشاط الجنسى بين الشباب منذ الحرب العالمية الثانية يوضح أن هذا النشاط فى صعود وتزايد مستمر ، اذ أن شباب اليوم يفعل الآن أساسيا ماكان يفعله الآباء والأمهات ، ولكنهم يفعلونه فى تبكير عنهما

مما كان سببا لوقوعهم في حيرة واضطراب .

١٠ - انتشر لما سبق من شيوع واباحية تعاطى حبوب منع الحمل بين طلاب وطالبات المدارس الثانوية والجامعات والكليات وعاملات المصانع ، وأصبح يوصى المتخصصون من الأطباء والاجتماعيين باباحة تعاطيها ، دون التقيد بالعلاقة الزوجية .

١١ - كما انتشر الاجهاض للأجنة بين الفتيات الصغيرات فضلا عن غيرهن ، وأصبح يطالب باباحته على نمط ما في المجتمع الشمالي الاسكندنافي ، والمجتمع الياباني ، لا كوسيلة لتنظيم النسل، ولكن كوسيلة لاعطاء فرصة واسعة للتجربة الجنسية .

١٢ - زادت نسبة الطفولة غير الشرعية زيادة تعادل نسبة الطفولة الشرعية في بعض المجتمعات بين المتزوجات وغير المتزوجات ، وأصبحت الزوجة أما لولد غير شرعي من رجل آخر ليس زوجها ، ولد تم في فراش الزوجية وفي العلاقات الشرعية

القائمة .

١٣ - شاعت الأمراض التناسلية السرية شيوعا ذريعا يشكل بدوره خطرا داهما على المجتمع المعاصر ، وعلى الأجيال البشرية القادمة ، وكان من العوامل الرئيسية في انتشارها ظهور ويسر الحصول على وسائل منع الحمل وتناولها دون قيود أو شروط ، أو ضوابط شرعية أو حتى نظامية بعد ذيوع انتشارها ورخص ثمنها .

١٤ - وهذا كله بالاضافة الى خروج كل من النظامين في الحكم عن روح السلام والتسامح الى روح الاستغلال الاقتصادي والبشري من جانب النظام الرأسمالي في صورة استعماره المختلفة ، والى روح التخريب والتدمير وانتهاب الثروات الطبيعية وغيرها باسم الاشتراكية ثم الغدر والخيانة والتحالف ضد من يواليه سرا مع عدوه من جانب النظام الشيوعي في صور استيلائه على الحكم العالمي وتحطيم الرأسمالية الغربية بمحاولة جذب كل الأطراف الى صف العدو والصديق معا من أجل البقاء على مصلحة

النظام ولتهلك كل الشعوب كما حدث من النظام الشيوعي على سبيل المثال مع مصر وسوريا والأردن ولبنان قبيل حرب سنة ١٩٦٧م ..

حتمية النظام الإسلامي للحفاظ على الانسانية :-

تلكم هي النظم المعاصرة وذاك هو بعض ماجرته على العالم كله من وبال ، وما خفي كان أعظم فأينها من النظم الربانية والقواعد الالهية ، التي كفلت للبشرية في الالتزام بها ، حفظ النفس والمال والعرض والدين والوطن ؟؟

وجعلت كل من يعتدى على أي منها مجرما يعاقبه قانون الله في الدنيا لتستقيم بعقابه الحياة ، وليعتبر من سواه ، فضلا عن عقوبة الله له في الآخرة ولنتأمل معي قول الله عز وجل :-

(قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله

الا بالحق ذالكم وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذالكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذالكم وصاكم به لعلكم تتقون " سورة الأنعام الآيات ١٥١ ـ ١٥٣ ") أي أن هذا هو منهجي ونظامي والطريق المستقيم لكم إليّ، فلا تحيدوا عنه الى غيره من المناهج والنظم لأنها تدمر كيانكم وتفسد مجتمعكم ، وتُخسر دنياكم وتُضيع أخراكم .

انه النظام الأوحد الذي يجمع بين حاجات الفرد وحاجات الأسرة وحاجات المجتمع ، ويُسيّر كل منها في منهج قويم لا طغيان فيه من جانب على آخر ، انه النظام الأوحد الذي يحفظ في مبادئه الأنفس ، والأعراض ، والأموال ، والدين والوطن ، ويجعل الموت في سبيل الحفاظ على كل واحدة منها شهادة في سبيل الله

عز وجل .. وهو تكريم للانسانية في الانسان أيضا تكريم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، نظام يجعل المال فيه مسودا لا سيدا ، والعرض فيه مصونا لا مدنسا ولا مستباحا ، والدين فيه حاكما لا محكوما ، والنفس فيه عزيزة لا ذليلة ، كريمة لا مهانة ، عاملة لا عاطلة ، والوطن فيه شريفا لا حقيرا ، مهابا لا مهانا ، يرفض وصاية الآخرين عليه ، لأن المحافظة على الوطن في عقيدة المسلمين كما هي واضحة من نصوص القرآن والسنة جزء من عقيدة المسلم وكيانه الاسلامي ، واعتقاده بالاسلام كدين ، ومعنى ذلك أن يبقى الوعي الاسلامي قويا لدى الشخصية الاسلامية المستقلة للمجتمع من خلال جمهرة أفراده ، وأن يبقى أيضا الايمان بالايديولوجية الاسلامية قويا كذلك في قلوب أفراده ، اذ أن قوام النظام الاسلامي في تحديد صلة مجتمع المسلمين بمجتمع آخر لغير المسلمين ... هو عدم قبول وصاية هذا الغير عليه - مهما كان حجم التعامل المادي معه ، والانتفاع بما لديه من تكنولوجيا أو تقدم صناعي في أي مجال من المجالات - مع رد اعتدائه

على الحريات للأفراد وهى حريات " النفس والمال والعرض"..

كلمة الى أولى الأمر فى الأمة الاسلامية :-

وبناء عليه فان على أولى الأمر فى الأمة الاسلامية وأصحاب المسئوليات من أعلاها الى أدناها أن يحافظوا على استقلالية النظام الاسلامى ، وأن يحموه فى كافة جوانب التطبيق العملى من الدخيل ، وأن يتنبهوا الى وسائل أصحاب النظم الأخرى المتنوعة وأساليبهم الملتوية سعيا وراء أهدافهم الخبيثة التى دمروا بها العالم الأوربى أخلاقيا ، ويريدون أن يبيدوا بها الاسلام ويدمروا أهله ، مهما كلفهم ذلك من نفقة ووقت ،فعلى أولى الأمر أن يتنبهوا الى مايبيت للاسلام ونظامه من غدر وخيانة .

كما أن على جمهور المسلمين طبقا لمبادىء الاسلام أن يدركوا بأنهم مطالبون بأن لا يمكنوا الأجنبى عنهم من شىء فى أراضيهم ودیارهم - حتى لا يخربون بيوتهم بأيديهم - لأن ذلك

يعينهم على القوة والتفوق في السيادة عليهم ، فضلا عن التمكن منهم وإذلالهم وهذه أمور نظمها الاسلام ونطق بها القرآن الكريم .

١ - في شأن عدم قبول الوصاية من الغير على المسلمين وطنا وفكرا وتقنينا يقول الله عز وجل : (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) " سورة آل عمران آية رقم ٧٣ " ..

٢ - كما يحذر القرآن الكريم من عدم أخذ الحيطة من الأعداء والأمان لهم ، والاغترار بدهائهم ومكرهم كادعاء حرصهم على الصالح العام ، والمناداة بضرورة الاخاء الانساني ، واعلان مجد البلاد اعتمادا على نعرات قومية قديمة بائسة وانشاء الأندية خصيصا لالتقاء أصحاب كل النحل والملل والمذاهب الفكرية والمساهمة في اتساع رقعة الأندية الشبابية والرياضية في سائر الأقطار الاسلامية كل هذا من أجل اضعاف النظام الاسلامي القويم ، وجلب الشباب والشابات الى ساحتها حتى يتمكنوا من القضاء على الهوية الاسلامية ، واشاعة ألوان الانحلال والفوضى رويدا رويدا حتى ينخلع الجيل

الصاعد من ربقة الاسلام ، ويصير المسلم الذى يحمل اسم الاسلام هو معول هدم نظمه ، والقضاء عليها قضاء مبرما ، واذا ما تصدى داعية ليصير شباب المسلمين ، اتهم بالجمود والرجعية والتخلف

وهنا أود أن أسأل سؤالا : ماهى العلاقة بين التقدم والتحضر ، وبين اشاعة الانحلال والفوضى ومحاربة الدين ؟ هل التقدم يكون بالاباحية الجنسية ، والدعارة والعرى وشرب الخمور وغيرها من المسكرات ؟؟

وهل التحضر هو أن نسير فى ركاب أعداء الفضيلة ، سفاحى الدماء ، قاتلى الأبرياء فى كل مكان من أرض الله ؟ أم أنه يكون بالتخلى عن الرجولة لدى الرجال والتخلى عن الأنوثة عند النساء ؟ انه ليس تقدما بل تقهقر الى الجاهلية الأولى التى تصدى لها الاسلام وأبادها ، وانها ليست حضارة ، انما هى خسارة ، فحضارة بلا أخلاق كالجسد بلا روح ، بلا حياة ، بلا إحساس ، حضارة بهيمية شهوانية مادية ، أنى لها بالحضارة الاسلامية التى أذهلت العالم كله ، ونادت بأعلى صوتها " جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد

الى عبادة رب العباد؟حضارة عرفت طريقها ، ونفذ نورهاءفحسمت أمرها وحددت مسارهـا من أول يوم ، حضارة استوعبت منهج الله عـز وجل ، فى قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق " (سـورة الممتحنـة آية رقم ١) ..

وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخـذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله) .. وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قومـا غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخـرة) ..

وقوله تعالى : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله"كل هذه محذرات من التسليم لهم ، والاطمئنـان الى جانبهم ، بل ومن كافـة التعاملات معهم . اللهم الا فى حيطـة كاملـة ، ويقظـة تامة عند الاضرار وهكذا بأن لنا خطر الأنظمـة المغايرة

للاسلام على الاسلام وأهله ، بل وعلى غير الاسلام والمسلمين من كافة شعوب الأرض ، وتأكد لدينا يقين حتمية سيادة النظام الاسلامى على سائر النظم الأخرى بعد أن ثبت بالأدلة فسادها فى الغرب والشرق معا ، وهو ما يجعلنا نقول وقلوبنا مفعمة بالثقة والافتخار " ان الاسلام ضرورة لاصلاح للعالم كله ولا صلاح للبشرية أبدا الا بسيادته والرجوع اليه :-

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) .

خامسا :- وضوح الهدف فى النظام الاسلامى :-

يقوم النظام الاسلامى على وضوح الهدف فى تناوله لكل مجال من مجالات الحياة البشرية سواء فى نظامه السياسى أم فى نظامه الادارى أم فى نظامه الاقتصادى أم فى نظامه المالى ، أم فى نظامه التجارى أم فى نظامه الاجتماعى ... الخ .

اذ أن الهدف من هذه النظم هو ضمان سلامة الانسان وتقويمه فى سائر علاقاته ، والابقاء على كيانه الانسانى ، بالحفاظ على

كرامته ، وضمان حريته واستغلال كل الامكانيات لصالح الانسان فى اطار شرعى يضبط الصلة بين الفرد والمجتمع والدولة ، وهى صلة الحرية الفردية المشروطة بالابقاء على الصالح العام والمحافظة على الأول - على عدم اضراره وايذائه بسبب هذه الحرية الفردية ، وكذلك فى صلة الفرد بالله - عز وجل - وهى صلة الايمان به ، والهداية بكتابه ، والتزام شريعته وأحكامه ، والسلوك طبق مبادئه ومعاييره العقدية والأخلاقية وهى صلة تعود فى نهايتها لصالح العلاقة بين الفرد والفرد ، وبين الفرد والمجتمع ، وبين الفرد والدولة .

ومن ثم فالهدف من النظام الاسلامى هو ضبط حركة الفرد وسلوكياته بما يتوافق ومقاييس المنهج القويم - الصراط المستقيم - الذى ارتضاه الله - عز وجل - للبشرية سبيلا الى مرضاته ، وراحة للضمير البشرى خلاصا من الشقاء والضنك والتخبط المدمر ، وقد أكد الله - عز وجل - هدف نظامه فقال " فمن اتبع هداى فلا

يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه .. " وطمأن البشرية الى سلامة النهج النظامي الذي ينبغي ، على أن تجد في خطاها السلوكي نحوه فقال :ـ

(ذلك الكتاب لا ريب فيه . هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) وفلاح البشرية في عاجلها وآجلها هو أسمى مطلوب ينشده النظام الاسلامي فيها ، ويرجوه منها ، والباب الذي لا يجد الانسان منفذا الى الله ألا منه ولا الى السعادة الحقة الا من خلاله .

سادساً :- ربانية الغاية :-

من أهم خصائص النظام الاسلامى ومميزاته أن الأعمال مقصودة بالتوجه اليها لا تقع عفوا ولا يترك للانسان فيها الحبل على الغارب وما ذاك الا لأنها فضلا عن كونها تحل مشكلات الانسان النفسية والفردية والجماعية وتسلك به أفضل المسالك التى لاتستقيم حياته الا بها ، ولا يصلح له بل ولا يصلحه نظام سواه ، ولو لم يكن الا هذا للانسان،لكفاه سلامة دنياه وسلامة أمره فيها وصلاحه فهو فضلا عن هذا كله نظام ربانى الغاية يصل عاجل الانسان بآجله وحاضره بمستقبله ودنياه بآخرته ، لأنه يعتمد فى قيامه وتطبيقه أساسا على طاعة الله وخشيته والامتثال له تعالى .

ومن ثم فالمسلم وحده هو الذى ينتفع تمام الانتفاع وأكمله بغائية تطبيق هذا المنهج اذا ما اعتبرنا الدنيا كلها غاية مرحلية أو لا غاية - بمعنى أنها وسيلة للغاية - وهى الحياة الآخرة .

أما غير المسلم فهو لا شك ينتفع بالمنهج الاسلامى لو التزم به

كنظام حياة فى سلامة دنياه فحسب،لكنه لا يمكن أن يسعد بالغاية لأنه أخذ بالنظام من غير أن يؤ من برب النظام.

ولعل هذا هو السر فى تقديم الايمان فى سائر آيات القرآن الكريم على العمل الصالح ، اذ أنه من المحال بلوغ الكمال والصلاح للأعمال مالم تقترن بالايمان بالله تعالى والخشية منه والرجاء له . قال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) .. ويقول عز وجل : (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) .

ولقد كانت ربانية الغاية فى النظام الاسلامى حقيقة حققتها على أرض الواقع الرعيل الأول من المسلمين — ولا تزال — رغم كثافة الغيوم التى سلطها الملحدون على سماء الديار الاسلامية لتشويه صورة الاسلام بمن تسلطوا عليهم من المسلمين،ويدل ربنا — عز وجل — فى الكتاب الكريم على وجود هذه الحقيقة فى الجيل الذى تلقف باكورة النظام الاسلامى فيقول ربنا تبارك وتعالى عنهم : (يخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما

وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا .)

كما يؤكد ربانية الغاية في النظام الاسلامى وتميزه بهذه الخصيصة تعدد الأمر بالتقوى ، إن في التقدمة لأى فرع من فروع التنظيم الالهى، لأى فرع من فروعه أو في التعقيب عليه .

والشواهد على هذا في القرآن كثيرة من أمثلته :ـ

١ ـ في تنظيم العلاقة الجنسية بين الرجل وزوجته : (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين) ..

٢ ـ في أسلوب الفراق بين الرجل وزوجته عند استحالة دوام العشرة

بينهما بالمعروف : (ياأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ، فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوَىْ عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب " ... الايات الى قوله تعالى : فاتقوا الله ياأولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا) ..

٣ — وفى توثيق الرابطة بين الرجل ومرغوبته فى نكاح شرعى صحيح يقدم له بقوله تعالى (ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء"

واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا) ... ثم يقول : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا .. الايات ..)

٤ - وفى رعاية اليتامى وكفالتهم وحفظ أموالهم وتنظيم علاقة الراعى بهم يقول الله تعالى : (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ..) وهذه الآيات تعقيبا على ما صدر بشأنهم فى صدر السورة من قوله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا) أى لا تتبدلوا الغاية السامية المرضية من الله عز وجل بسبب حفظكم لأموال اليتامى وعدم الجور والاعتداء

عليها بالغاية الخبيثة الدينية وهي ماتكون بسبب جوركم على أموال اليتامى وضمها الى أموالكم والاعتداء على ماحرتم اشاء عليه من قبل الله - عز وجل - وأولي الأمر .

وعلى هذا نقول ان النظم الاسلامية في اطار ربانية الغاية كميزة من ميزات النظام الاسلامى الشامل الكامل ، ماشرعها الله - عز وجل - وما أمر بالأخذ بها وما ترتب عليها من ثواب وعقاب ، إلا لكى تخلق الانسان الصالح الذى يتجه الى الله - تعالى - فى كل مايباشره من نشاط أيا كان نوعه سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا بحيث يكون هدفه الذى يسعى اليه من كل نشاط ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى ووفق منهجه ، لهذا بدا واضحا انفراد النظام الاسلامى بهذه الخاصية دون غيره من سائر النظم ، فلا تكاد تخلو آية من آيات التشريع فى القرآن الكريم من ذكر الله تعالى ووجوب الخشية له والترغيب فى مثوبته ، ورضوانه ، وعلى غرار ماقدمنا من نماذج هى غيض من فيض .

سابعا :- ضمان سلامة النظام الاسلامي عبر القرون مع دوامه واستمراره :-

ذكرت فيما سبق من خصائص للنظام الاسلامي أنه رباني المصدر وهو مايعني أنه ذا أصول وجذور موجوده ومدونه في كتاب الله تعالى لأنها في كل فرد من أفرادها جزء الكتاب الكريم ، وفي مجملها هي الكتاب الكريم كله ، مضافا اليه بيانه النبوي " سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم " الثابتة الصحيحة .

وقد أكد الله - عز وجل - دوام إبقائه لهذا الكتاب العزيز بأنه " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " . فلا تبديل فيه ولا تغيير ولا زيادة ولا نقصان .

كما أكد دوام إبقائه واستمرار وجوده بكفالته له وحفظه إياه ، في قوله تعالى "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " سورة الحجر آية رقم ٩) .. واذا ماتحقق للكتاب بقاءه وبقاءه فقد ضمن سلامة نظامه وتأكد ديمومته واستمراره ، وكان في أمان تام من العبث والسقوط وان هجرته الكثرة وتغافلته الرؤساء وأرباب السطوة ومن على شاكلتهم من أهل الجفوة .

وهذه ميزة اختص بها النظام الاسلامى لخصوصيته القرآن الكريم بها دون غيره من النظم الغابرة والقائمة ، لأنه هو الكتاب الأوحد فى سماء الزمان كله الذى تكفل الله بحفظه دون غيره من الكتب الالهية السابقة ، فلأنه كان قد عهد بحفظها الى الأنبياء عليهم السلام واستحفظها الأنبياء - عليهم السلام - الأحبار والربانيين ، فوقع فيها ماوقع من تحريف وتبديل وزيادة ونقصان وتدليس .

أما القرآن الكريم فحفظه ليس موكولا الى البشر وان كانوا أحدا أسبابه ، لأنه محفوظ بكلأ الله وعنايته من الله بنفسه ، فلم يزل منذ نزل - محفوظا - وسيظل كذلك - أولا وآخرا - الى يوم القيامة بمقتضى وعد الله - عز وجل - وكما حفظ الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم فى ألفاظه وكلماته منقولا بالتواتر مدونا على أقوم مايكون التدوين والتحرير والنقل ، كذلك حفظ الله السنة بيانا للقرآن وقيض لها - كما قيض للقرآن الكريم - الرجال الشداد فى الحق

فلم يشهد التاريخ كله عهدا من عهود التوثيق العلمى والتحرى النصى ، مثلما شهد فى عهد توثيق المسلمين الأول للوحى الالهى وبيانه النبوى ، ولا تزال الشواهد عليه قائمة الى اليوم ، وهو مايؤكد ماتمتع به المسلمون من نظام تعليمى نبوى يقوم على الدقة والتحرى فى الاسناد ونسبه القول الى قائله ، نسبة الصدق الى الصادق ، وقد كان الدافع الى هذا عوامل عدة اشتمل عليها نظام الاسلام التعليمى العام واذا كان ماسبق قد أكد ضمان سلامة أصول النظام الاسلامى واستمراره كنصوص فان هناك عوامل ومقومات حفل بها القرآن الكريم والسنة النبوية تضمن استمرارية النظام الاسلامى ودينومته من الناحية التطبيقية على مسرح الحياة الانسانية .

مقومات استمرار النظام الاسلامى عمليا :-

لقد جمع العلامة الشيخ / محمد رشيد رضا هذه المقومات فى كتابه الوحى المحمدى أذكرها فيما يلى :-

١ - أن النظام الاسلامى وسط جامع بين حقوق الروح وحاجات

الجسد وبين مصالح الدنيا ونعيم الآخرة ، وهو نص قوله تعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطا " البقرة آية رقم ١٤٣) أى أن المسلمين - بتطبيقهم لمنهج القرآن والسنة يصيرون وسطا بين الذين تغلب عليهم الحظوظ الجسدية والمنافع المادية كاليهود ومن على شاكلتهم من الملحدين الشيوعيين ، والرأسماليين والليبراليين وبين الذين تغلب عليهم التعاليم الروحية وتعذيب الجسد ، واذلال النفس كالمسيحيين والهندوس ، وان خالف هذه التعاليم أكثرهم.

٢ - أن غاية النظام الاسلامى هى تحقيق سعادة الانسان فى الدارين بخلاف النظم الأخرى جميعها ففغايتها تحقيق سعادة الانسان فى الدنيا فحسب ، ولكن ماذا بعد أن يحقق الانسان كل غاياته فى الدنيا على حد تعبيرهم - وهو بمعزل عن الايمان بالله والدار الآخرة ؟؟ اسألوا السويسريين عن أسباب تفشى الانتحار بينهم " واسألوا غيرهم أهل البلدان الأوربية التى بلغ أفرادها حد الاسراف المادى أو ما يسمى - عندهم - بالرفاهية الكاملة والترف المادى الجارف .. ان سعادة الانسان فى الدنيا فحسب لا تحقق له السعادة الأبدية ولا يمكن

الجمع بين السعادتين الا بتزكية النفس بالايمان الصحيح ومعرفة الله ، والعمل الصالح ، ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، لا بمجرد الاعتقاد والاتكال ، ولا بالشفاعات وخوارق العادات .

٣ - أن النظم الاسلامية يسر لا حرج فيها ولا عسر ولا ارهاق ولا مشقة ولا اعنات ، فما كلف الله عز وجل الانسان الا بما هو أعلم بمقدرته عليه لأنه هو خالقه . قال تعالى : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) ، (ولا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) وقال تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .. ويقول : (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) ، ويقول (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) ويقول عز وجل : (ولو شاء الله لأعنتكم) ومن مجمل هذه الآيات نفهم أن الله عز وجل لم يفرض على المكلفين شيئا فوق قدرتهم وطاقاتهم ، وأن ما شرع لهم من نظم هي قواعد وقوانين وأحكام كلها تدخل في وسعهم فلا حجة لمتعلل ، لأنه تعالى لم يترك أصحاب العقل هملا وانما نظم لهم أيضا .

فالمكلف المتحقق فيه العلة الذى يشق عليه القيام بما هو فرض عليه ، ويدخله فى دائرة الحرج يسقط عنه الى بدل ، أو يسقط عنه سقوطا مطلقا دون بدل ، كالحائض يسقط عنها الصلاة لثقل الاتيان بها بعد انقضاء الحيض وكثرة تكراره على مدار العام بخلاف الصوم فانه يستبدل زمنه الى مابعد رمضان . وكالمريض يفطر شهر رمضان ثم يصوم بدلا منه ، بخلاف الكهل الهرم يفطر فى رمضان ثم لا يصوم بدلا منه بل يستبدله بالاطعام عن كل يوم مد من مثل طعامه كفارة له ، فان لم يجد سقطت عنه هى الأخرى رحمة من الله عز وجل .

٤ — أن النظام الاسلامى يقوم على منع الغلو والتشدد فى الدين فلا افراط ولا تفريط ، فحرم الإهمال وذم الغلو والجمود فى الدين ، وأبطل جعله تعذيبا للنفس ، وذلك أن الاسلام أباح الطيبات بدون اسراف ، وأباح الزينة دون كبرياء وتعالى .

قال تعالى : (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل .)

وقال أيضا : (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) • وقال : (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق • قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) •

٥ - أن النظام الاسلامى يقوم على البساطة والسهولة فى فهمه وتنفيذه مع تمام استيعابه للامور وكماله فى جميع الجوانب ووفائه بجميع مقتضيات الحياة السعيدة رغم قلة التكاليف وعدم التكلف فقد كان الأعرابى يجيىء الى النبى صلى الله عليه وسلم من البادية فيعلمه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ماأوجب الله عز وجل وما حرم عليه فى مجلس واحد • فيعاهد الأعرابى لتوه على العمل بما تعلم فى ذلك المجلس ثم ينصرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم - فيقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم " أفلح الأعرابى إن صدق " وقد كان هذا من أعظم أسباب قبول الناس للدعوة واقبالهم على الدين الاسلامى الحنيف •

٦ - انقسام التكاليف فى الاسلام الى عزائم ورخص ، وقد كان سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يرجح الأخذ بالرخص ، وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يرجح جانب الأخذ بالعزائم ، والناس بعد ذلك درجات فى التشمير والتقصير والاعتدال ، فالاسلام يستوعب فكر البدوى الساذج ، والفيلسوف الحاذق ، ومن بينهما من طبقات الناس .

٧ - أن النظام الاسلامى استوعب درجات التفاوت البشرى فى العقل والفهم وعلو الهمة وضعفهما ، فالقطعى منها هو العام وغير القطعى - أى فى الدلالة - تتفاوت فيه الأفهام ، فيأخذ كل واحد منه بما أداه اليه اجتهاده ، ولذلك كان النبى صلى وسلم يقر كل أحد من أصحابه فيه على اجتهاده ، كما فى موقفه - صلى الله عليه وسلم من اجتهادهم فى صلاة العصر أثناء ذهابهم لقتال بنى قريظة ، ما بين مغلب لجانب الزمان ، ومغلب لجانب المكان ، فصوب صلى الله عليه وسلم كلا الجانبين ، ذلك أن الفرائض الدينية العامة والمحرمات الدينية العامة كلاهما لا يثبت الا بنص قطعى يفهمه

كل أحد ولا يملك الاختلاف حوله مسلم واحد ؛ أما النصوص ظنية الدلالة ، وأحاديث الآحاد ظنية الرواية أو الدلالة فهي موكولة إلى الاجتهاد .

٨ ـ أن النظام الاسلامي يقوم على معاملة الناس بظواهرهم وجعل البواطن موكولة إلى العليم الخبير سبحانه وتعالى ، فليس لأحد من الحكام ولا الرؤساء الرسميين ، ولا لخليفة المسلمين ذاته ولا قاضيه نفسه أن يعاقب أحدا ولا أن يحاسبه على ما يعتقد أو يضمر قلبه ، أو يخفيه ، وانما العقوبات والحدود في الاسلام تكون على المخالفات العملية للأحكام الشرعية العامة المتعلقة بحقوق الناس ومصالحهم .

٩ ـ أنه يقوم في مدار العبادات كلها على اتباع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر ، فالعبادات توقيفية نصية وليست توفيقية اجتهادية ، فليس لأحد فيها رأى شخصي ولا رياسة ، وفي الباطن على الإخلاص لله تعالى، وصدق النية وصحة العمل والآيات

الدالة على ذلك كثيرة .

١٠ - أنه يقوم في مدار المعاملات على القواعد الكلية وبعض مفصلات نصية وضعت لقياس غيرها عليها وضبطة عند تطور الزمان وتغلب الأحوال ومن ذلك قواعد الاجتماع العام والحكم والادارة ، والتجارة والعلاقات الدولية ، وأسس الاقتصاد ، وبناء الأسرة وتربية النشىء وغير ذلك من كل مايهم الانسانية في حياتها ، لم يتركه الاسلام هملا ، وانما نظمه في منهج سامٍ يسلك بالبشرية كلها مسالك الخير قرآنا وسنة وفقها ، بما يصلح شأن الانسانية في كل زمان ومكان ..

تعقيب :- هذه هي مقومات استمرار النظام الاسلامي ومؤهلات ديمومته جمعت في نقاط عشرة لا تدع شيئا من شئون الحياة الانسانية الا وضعت له النظام الذى لا يرجحه نظام سواه ، والذى لا يجد الانسان مفرًا من التسليم له طوعا أو كرها ، اذ كلما تقدم الزمان اثبت حاجة الانسانية اليه في يومها أشد من أمسها وفي

غدها أشد من يومها فالزمان كله في صالحه وإن تنكر لهذه الحقيقة الجاحدون : ..

(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ألا انهم في مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شيء محيط) .. وتلك هي أكبر الآيات في الدلالة على عجز كل النظم ، وحاجتها للاسلام كمنهج سديد ونظام رشيد ، ودين قويم ، وليس هو في حاجة الى أي منها ، فالاسلام يستغنى به عن كل دين آخر كان قبله وعن أي نظام مستحدث من صنع البشر بعده ، اذ ليس بحاجة الى شيء منها ، قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) ..

كما أنه من أعظم الأدلة على ضرورة الاسلام كدين وكنظام ومن ثم فهو دليل على عموم رسالته وعالميتها الى عوالمه ويخاطب البشرية به ، وأن الأمة الاسلامية مكلفة بعون علمائها على

ابلاغ الناس جميعا فى كل زمان ومكان لأن معها ما يصلح شأن العالم كله فى عاجله وآجله ، وكتمانه أو تعويق اذاعته جريمة فى حق البشرية كلها تحل اللعنة على مرتكبها من الله - عز وجل - والملائكة والناس أجمعين مصداقا لقوله تعالى :-

(ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) ..

كما أنه يؤكد خلود الاعجاز القرآنى على مر الزمان الى أن تقوم الساعة .

ثامنا :- جمع النظام الاسلامى بين الثبات والتطور :-

عرفت فيما سبق أن الثبات فى المنهج الاسلامى أصل من الأصول المتفق عليها وذلك لثبات النصوص الالهية وحفظها من التبديل والتغيير والاضافة أو الحذف وهى خاصية من خواص النظام الاسلامى .

الا أنه مع هذا الثبات فى النص يتميز بقابليته للتطور ومواكبة

مستحدثات الأمور ومستجدات الحياة .

وذلك لأن هذه النصوص الالهية قد استخرج منها الأصول الكلية للنظم الاسلامية اجتماعية كانت أم اقتصادية أم سياسية أم أخلاقية ... الخ .

ومن ثم فلما كانت هذه الأصول فى معظمها ذات صيغ كلية عامة، وكانت أحوال الأفراد لا المجتمعات تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة فقد أوجب الاسلام الاجتهاد فى استنباط الأحكام والتفريع على الكليات فى ضوء مقتضيات الظروف والأحوال بما لا يخرج عن المحيط العام للقرآن الكريم والسنة الشريفة ، من أجل هذا كله كان الفقه فى الدين ضرورة والاجتهاد فى فهم النصوص ضرورة توجب الإختصاص ، لأن الاسلام قد اعتده سبيلا ومنهجا لاستنباط الأحكام ، وجعله مأجورا على اجتهاده حتى ولو جانبه الصواب فقرر " ان المجتهد اذا أخطأ فله أجر وان أصاب فله أجران " مادام قد بذل الوسع وأخلص النية لله تعالى .

وبذلك جمعت النظم الاسلامية بين الثبات فى أصولها وكلياتها المثبتة

بالقرآن والسنة الشريفة وبين قابلية التطور لمواكبة العصور والأزمنة باستنباط الأحكام الجزئية من القواعد الكلية وهذه ميزة اختصت بها النظم الاسلامية دون سواها ، تؤكد قدرتها الدائمة على مواجهة المشكلات الحادثة وحلها في كل العصور والأمصار .

تاسعا :- أنها موافقة للطبيعة الانسانية :-

يتميز النظام الاسلامي كذلك بأنه جاء لأجل البشرية كلها ولذلك راعى في أحكامه أحوال تلك البشرية وظروفها النفسية والفكرية والطبيعية ، فخاطب النفس ، وقدر العقل ، وهذب الطبيعة البشرية ليسمو بها من دائرة الحيوانية الشهوانية البهيمية الى دائرة الانسانية الحقة ولا أقول الملائكية ، لأن الانسان وسط بين المرتبتين جامع بين الخلقتين ، فاما أن ينغمس في الشهوات والملذات بلا ضابط ولا رابط ، فيصير أحط من الحيوان ، واما أن يتخلى عن سائر الشهوات ، والملذات ويتشدد في التضييق على نفسه بلا ضابط أيضا فيصير أشبه بالملائكة

وكليهما مخالف لمنهج الاسلام ونظامه فى ما يختص بالجانب الطبيعى للانسان ، لأن الاسلام يريد الانسان انسانا ، فلا يريده حيوانا أعجم ، ولا يريده ملكا ، ومن ثم فأساس المنهج الاسلامى لتحقيق الانسانية فى الانسان هو الاعتدال ، وهذا الاعتدال هو الموافقة السوية للطبيعة البشرية .

ولما كانت الأجساد البشرية قد ركبها الله - عز وجل - فى أحسن تقويم وفطرها على العديد من الغرائز والميول ، والروح ذات النزعات والأشواق ، فقد بات من الضرورى ضبط هذه الغرائز والميول والنزعات بوضع النظام الذى يهذبها ويعليها فى جو من الشرعية والمباركة الاجتماعية ، لتستقيم انسانية الانسان باستقامة عقيدته ودينه فلم يكبت الاسلام الغرائز فى الانسان ، وما تنكر لها ، وفى الوقت نفسه ماترك لها الحبل على الغارب لتعيش فى جو من الاباحية والفوضى والهمجية ، كما فعلت الأنظمة الأخرى قديما وحديثا ،

وانما شرع لها الشرائع ، ونظم سبل تلبيتها والاستعلاء بها ، أو ابدالها بوضع الضوابط والحدود بما يحقق مصلحة الفرد والمجتمع ويحول دون الفساد والافساد لهما .

والأمثلة على هذا كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر :-

١ - موقف الاسلام من الغريزة الجنسية ، أوجب البقاء واستمرار النوع ، كما هو واضح من قوله تعالى :-

(فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) .. حيث يلبى الغريزة الجنسية بتهذيبها عن طريق الزواج عند القدرة عليه جسديا وماديا وروحيا ، فماذا لو لم يكن هناك القدرة ؟ .هنا تدخل السنة لتقر ما سبق عند القدرة حيث تشبع الغريزة عن طريق تلبيتها وتهذيبها ، أو ابدالها عند عدم القدرة وفقدان عنصريها أو أحدهما فيقول صلى الله عليه وسلم " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه

بالصوم فانه له وجاء " أى وقاية من تسلط الشهوة الجسدية عليه واحياء للمراقبة الذاتية بتقوية الروح الايمانية واضعاف السلطة البهيمية ، فهو هنا قد استبدل الزواج بالصوم لعدم توفر القدرة المادية اللازمة له ، ولا أظنه لعدم توفر القوة الجسدية ، لأنه استثناء ، ولو كانت لاسقطت عنه الصوم فكيف يؤمر به ؟؟

٢ — موقف الاسلام من غريزة حب التملك كما هو واضح من قوله تعالى عن لسان وَعَظَة قارون :—

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين) .

ولو أنك دققت النظر فيما سبق لرأيت أنه ليس فى جمع النظم الاسلامية بين متطلبات الجسد ومتطلبات الروح فى الانسان تناقض أو ازدواجية وانما هو تكامل ومواءمة بين طبيعة الانسان ذاته جامعا بين المادة والروح وبذلك يكون قد راعى فطرة الانسان وأصل تكوينه ، من ناحية الفطرة الانسانية ، أو التكوين الخِلْقى للانسان

ونوازع فطرته... أما من ناحية التكاليف الشرعية فإنها انما تستهدف مصلحة الانسان والمحافظة عليه في كل جانب من جوانب حياته العامة والخاصة ، كما تستهدف المحافظة على انسانية الانسان بصيانة حياته وحريته وشرفه وكرامته وماله ، ولأجله وعلى سبيل المثال حرمت الزنا والغش والخداع والسرقة والنهب والاغتصاب وغيرها من مجموع المحرمات التي نص عليها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في الوقت الذي نجد فيه كلا النظامين السائدين في العالم المعاصر يشجعان على الاباحية في كل شيء فأبيح الزنا والسرقة والنهب وشاعت جرائم الاغتصاب والزنا ، وظهرت العصابات وفرض الاتاوات ، كما شاعت المخدرات بأنواعها والخمور بشتى أشكالها ، وغير ذلك مما جره النظامين الشيوعي والليبرالي على العالم المعاصر من دمار وفساد حتى صار الانسان في النظام الشيوعي عبداً للطبقة الحاكمة " البروليتاريا " بحجة المجتمع ومصالحه ، وفي النظام الليبرالي الرأسمالي الحر صار المجتمع عبدا للفرد المتحكم في الثروة ، المستبد بماله وممتلكاته ، من جراء الملكية الفردية المحتكرة المتسلطة

ذات الشهوة البهيمية ، وفي كل شاع نظام الطبقة السيادية والدونية في سبيلها ومن أجلها ترتكب الطبقة السيادية المتسلطة كل مايحلو لها بحجة الصالح العام ، حتى ولو تم القضاء نهائيا على كيان الطبقة الدونية العاملة .

ويعود ة الى النظم القديمة كالنظام الروماني - مثلا - نجد أن هذين النظامين لا يبعدان عنه كثيرا ، اذ كان يخير الدائن فيه بين استرقاق المدين المعسر أو قتله ، واذا ماكان الدائنين أكثر من واحد حق لهم تقطيع المدين إربا إربا ، ويأخذ كل منهم بعض أعضائه ، كما كان استرقاق المدين عرفا سائدا في جاهلية العرب قبل الاسلام .

فأين هذه النظم من الاسلام في نظامه الشامل الكامل ؟

اننا في الوقت الذي نجد فيه النظم المغايرة للاسلام - سواء السابقة أم اللاحقة - على هذا النحو من القسوة واذلال الانسان نجد الاسلام في نظامه يحض على الرأفة بالمدين وامهاله حتى يفك

عسره ، ويبقى على كرامته وحريته بدلا من استعباده واسترقاقه أو قتله ، بل ويحرم زيادة العبء عليه عند الامهال وهو مايسمى بالربا فيقول الله عز وجل :-

(ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التى أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) ٠

ويقول تعالى أيضا :-

(وما أتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما أتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) ٠

ويقول عز من قائل :-

(وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون ، واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون)

وفضلا عن هذا فانه فى الوقت الذى نرى أن من أسس النظام الرومانى التمايز بين الحاكم والمحكوم ، والشريف والوضيع ،

والقوى والضعيف ، والغنى والفقير ، والأبيض والاسود نجد أن الاسلام قد أكد على المساواة بين الناس جميعا وجعل الأعراض الدنيوية ليست أصلا ولا سببا لضبط الفوارق بين الناس لأنها متفاوتة بالطبع والتقدير الالهى لكونها جزءً تسيير موكب الحياة على الأرض ، لأن الأعراض غير صالحة لتكافؤ الفرص بين البشر ومن ثم فقد جعل عماد المساواة أصلا شرعيا تتكافأ فيه فرص البشرية كلها ألا وهو مدى مصداقية كل فرد من أفرادها في علاقته بواهب الحياة لجميع الأحياء ، وتحقق خوفه وخشيته ودوام مراقبته تعالى .

قال تعالى : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) .

وهكذا رأيت كيف أن النظام الاسلامى موافق للطبيعة الانسانية فلا تعارض بينه وبين الفطرة السليمة للانسانية وذلك بجمعه بين حاجات الجسد وحاجات الروح ، وتركيزا في تحقيق ذلك

على جعل العلاقات المتكونة داخل المجتمع البشري انسانية فلا تسلط ولا اعتداء ، ولا ظلم ولا احتكار ولا احتقار، ولا مشقة ولا حرج ، بل يسر وسهولة وبساطة وعدل وانصاف ومودة ورحمة واخاء وعطف وشفقة وحب، وغيرها من الصفات التي تليق بالانسانية وتحقق لها الكرامة والسعادة الأبدية ، والسر في هذا أن صاحب المصدر النظامي في الاسلام - جل جلاله - هو نفسه خالق هذا الانسان ، وهو وحده الأعلم بالنظام الذي يغذي فطرة الانسان ، ولا يفسدها ، والذي يقيم وضعه الاجتماعي على أسلم طريق ، وأنصع نظام .

عاشرا : الجمع بين الرقابة الالهية والقيادة البشرية :

من أهم مميزات النظام الاسلامي أنه جمع بين الرقابة الالهية للفرد والمجتمع وتمام الانصياع للقيادة البشرية المتمثلة في وجوب طاعة ولي الأمر والالتزام بحتمية الرضوخ لمراقبة السلطان الذي يقع على عاتقه مسئولية اقامة شريعة الله في الأرض وتنفيذ سائر أحكامها ورفض كل ما يعوقها • أو يعمل على اسقاطها سواء بالرشوة أو المحسوبية أو بالاستشفاع مهما كان قدر المتشفع أو المتشفع فيه • وغير ذلك من كل ما يمنع الحاكم من مباشرة مهامه الشرعية في اطار التعاليم الالهية الثابت باليقين صحتها وسلامتها من الدخيل •

فهذا هو رسولنا - صلى الله عليه وسلم - يسوي بين الناس في العدل حال اقامة الحد • ويوضح هذا ما ورد في السنة بشأن المرأة المخزومية التي سرقت • رافضا شفاعة حبه وابن حبه أسامة بن زيد بن حارثة • ويعاتبه النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لأسامة : اتشفع في حد من حدود الله عز وجل ؟ والله

لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها "ثم قال مبينا
أن الاسلام يرفض التفريق بين المسلمين أمام شرع الله عز وجل
و أحكامه . وبين أن التخلي عنها سبب رئيسي من أسباب تدمير
البنية الأساسية للمجتمع . فضلا عن تدمير الأفراد .
فيقول صلى الله عليه وسلم : " انما أهلك من كان قبلكم انهم كانوا
اذا سرق فيهم الشريف تركوه . واذا وقع ذلك من الضعيف قطعوه .."
وهو ما لم يرتضيه الاسلام قط بأي لون من الألوان .

وقد يخالفه الكثيرون في عصرنا ، لفقدانهم جانب الرقابة
الإلهية واعتمادهم على ما أرسته دعائم النظم الوضعية . التي
تنصر جانب سلطان القانون البشري على القانون الالهي . وماذلك
الا لأنهم يجدون في النظم الوضعية مايشبع رغبتهم كطبقة عليا
مستبدة بصرف النظر على حساب من يكون ؟ ولأنهم يجدون
أيضا في النظم الوضعية فسحة للعب واللهو والعبث بحقوق الآخرين
باستخدام ذوي اللسن ومضللي العدالة . كما أنهم بتسويدهم
للنظم الوضعية ـ فضلا عن تغييبهم لسمات الرقابة الالهية فيهم .

يقفــون على جوانب الأخلاق الفاضــلة فى النظام الاسلامى كالعفــو والصفح والتسامح وغيرها على أرض الواقــع ، ويعملون على محــو الهوية الاسلامــية من المجتمعات ، مهما كان مايظهرونــه من حسن النية ، وادعــائهم الحرص على الصــالح العام ، ومحاولات تطبيــق العدالة بين الناس ، فأنى تتحقق العدالــة اذا غاب الضمــــير وأضحــى من الواقع ومن العــدو سلطان اللــه عز وجل على الانسانية ؟!

ان الرقــابة فى النظم الوضعية قانونــية قصــرية فحسب، مناطها القانــون ولذلك يتحــايل عليه المتحايلون ، وينجو فى ظلــه كثيرون من السـفلة والمجرمين ، الذين يعيثون فى الارض فســادا ، وذلك بشتى الطرق والوســائل للافــلات منها ، فاذا أفلتوا ازدادوا اجراما ووحشــية وفسادا وشاع الســرور فى أنفسهم وبين أقرانهم ومشايعيهم من أمثــاله ولم يستشعروا لحظة واحدة تبكيت الضمير .

أما فى ظل ربانية النظام فإننا نجد الى جانب الرقابة السلطانية أو القانونــية الالهية ، جانبا آخر من ذات الانسان المسلم يقوم علــى العقيدة الايمانــية الصــادقة فى اللــه — عز وجل — والتى لا يفتــأ

الانسان فيها تراوده نفسه في الهروب من الجزاء الا ويتذكر يوم الجزاء الأوفى والميزان الأسمى الذى يقول الله عز وجل فيه :

(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)

ويتذكر قوله تعالى فى خطابه للبشرية كلها (فأين تذهبون) ؟

ويتذكر أن كتابه يوم القيامة (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الاأحصاها) وأن جميع ما صنعه فى يقظة من البشر أو فى غفلة ، لن يغيب منه عن الله أدنى شيء ، ولم يغب عنه تعالى شيء (ووجدوا ماعملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا) .

ومن ثم فان الاسلام قد ربى المسلم على يقظة الضمير الكاملة ، والمراقبة التامة لله – عز وجل – والايمان الصادق باليوم الاخر وما فيه ، وبين له أن الخلاص من الذنوب والجرائم فى الدنيا باقامة شريعة الله فيها ، وتمكين الحاكم من تنفيذ حق الله تعالى وحكمه عند ارتكاب الكبائر ، والتخلص من حقوق العباد بالاستبراء منها من صاحب الحق فان عفى والا وجب القصاص .

ويدل على أصولية هذا النظام وأسسه ، ما أثبته الله عز وجل

في القرآن الكريم في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) .

ويقول جل جلاله :

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله . شهداء بالقسط . ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) .

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " انكم تختصمون الي ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من أخيه فأقضي له بحق ليس له فمن قضيت له بحق أخيه فانما هي قطعة من النار أقطعها له فليقبلها أو يردها " .

وفي الحديث أيضا : " من اقتطع حقا لأخيه ولو شبرا من الأرض طوقه الله به من فوق سبع أراضين " . وفي رواية أخرى " هوى به في جهنم سبعين خريفا " .

فمن يعد هذا النظام الربانى ، وهذه التربية الاسلامية ينتظر رقيبا من البشر ؟ حتى وان وجد !! ، إذ لابد من وجوده كحماية للنظام الاسلامى .

إن رقباء البشر ومراقبيهم معا في ظل النظم الوضعية ، قد أفسدوا الحكم والسياسة والاقتصاد والاجتماع ، مما أدى الى فساد الانسان ؟ فى كل ميدان من ميادين الحياة ، اذ صار مادة بلا روح يحرك برقابة البشر كما تحرك الآلات فى المصانع فاذا ما غابت الكهرباء توقفت كل الآلات .

ومن ثم فان المسلم يشعر دائما ويدرك جيدا أنه مهما استطاع أن يفلت من رقابة القانون الوضعى ومسائلته فانه لن يستطيع أن يفلت بجرائمه فى حق نفسه أو فى حق الآخرين من رقابة الله ومسائلته لأنه فى أصل عقيدته ومكونات شريعته ، أنه تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ...الآية) .

وأنه تعالى (يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور)

وأنه تعالى (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير)

كما أنه تعالى قد بين للمسلم حقيقة قربه واطلاعه على ما يهجس في نفس كل بشر فقال عز وجل (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد • اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) •

وهذه تربية ربانية عقدية يقوم على أساسها حفظ النظام الاسلامي والمنهج الرباني الذي يكفل للحياة سلامتها وللأحياء أمنهم واستقرارهم • ولله في سلطانه وكيانه • وللشريعة سيادتها وللمعيشة الانسانية بهجتها ورونقها •

(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى • قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا • قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) ••

وهذا كله يعني أن هناك عاملا مميزا في النظام الاسلامي تخلو منه النظم الاخرى وهو اعتداده بالوازع الديني في توجيه النشاط البشري باستشعار المسلم رقابة الله تعالى في كل تصرف من تصرفاته وعلى كل حال من أحواله . ولذلك فان المسلم لا يصعب عليه تلقائيا تطبيق النظام الاسلامي والتزامه بباعث من عقيدته ولا يحتاج الملتزم الذي يستشعر ايحاء هذه العقيدة الى من يوجهه أو يعينه أو يجبره على ذلك .

وهذه الأمور العشرة هي أهم خصائص ومميزات وآداب النظام الرباني الاسلامي . وهي بمجموعها تبرز أهمية وعظمة هذا النظام .

الفصل الثانى
اهمية النظام الإسلامى من الناحية التطبيقية

أهمية النظام الاسلامي من الناحية التطبيقية :

تبرز أهمية النظام الاسلامي من الناحية التطبيقية في تكوين الشخصية الايمانية من خلال العديد من الجوانب العملية التي أحدثها الاسلام في البيئة الاسلامية الصادقة عبر صورتها الصحيحة منها على سبيل المثال :

١ - التربية الايمانية :

القدوة الأساسية للمربين في النظام الاسلامي ، والمثل الأعلى هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - والرسول صلى الله عليه وسلم - في تربيته للرعيل الاول والذين يعدون بحق باكورة النظام الاسلامي في أنصع صوره ، قد غذى أرواحهم بالقرآن وربى نفوسهم بالايمان ، فأخضعهم أمام رب العالمين خمس مرات في اليوم على طهارة بدن وخشوع قلب ، واسلام جسم ، وحضور عقل ، مما جعلهم يزدادون كل يوم سموا في الروح ، ونقاء في القلب ، ونظافة في الخلق

وتحررزا من سلطان الماديات • ومقاومة الشهوات • نزوعا الى رب الأرض والسماوات •

كما أخذهم بالصبر على الأذى • والصفح الجميل • وقهر النفس • حتى يظن من يراهم بجهله — للوهلة الأولى — أنهم في ضعف ومسكنة ومذلة • وهم فى حقيقة الأمر ليسوا كذلك • لأن وراء ذلك كله ايمان راسخ وطاعة كاملة • (طاعة وقول معروف • فاذا عزموا الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم)

لقد أرضعوا حب الحرب وكأنهم ولدوا للسيف • وهم من أمة حفل تاريخها بأيام لم ينسها التاريخ • ومن أيامها حرب البسوس وداحس والغبراء والفجار •• الخ •

ولكن الرسول يقهر فيهم بالقرآن طبيعتهم العدوانية • وميولاتهم الحربية ويكبح نخوتهم العربية • ويقول لهم" كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة" فانصاعوا لأمره من توهم • وانقهروا لتوجيهاته بلا ضجر ولا ضيق • وكفوا أيديهم • وتحملوا من قريش ماتسيل منه النفوس فى غير جبن • وفى غير عجز • ولم

يسجل التاريخ حادثة خالف فيها مسلم منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودافع عن نفسه بالسيف في مكة • مع كثرة الدواعي الطبيعية إلى ذلك وقوتها • وذلك غاية ما روى في التاريخ من الطاعة والخضوع •

حتى اذا تعدت قريش في الطغيان • وبلغ السبيل الزبى • أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه الأطهار في الهجرة الى يثرب • وهنالك في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى المهاجرون بأهل يثرب لا يجمع بينهم الا الدين في نظامه الاسلامي الرائق • فكان أروع مشهد لسلطان الدين شهده التاريخ • وقد كان الاوس والخزرج لم ينفضوا عنهم غبار حرب بعاث ولاتزال سيوفهم تقطر دما • فألف الاسلام بينهم • وجمع بين قلوبهم • وتم الاخاء في الله عز وجل بين الوافدين • والقاطنين • فكانت أخوة تضمحل أمامها أخوة الأشقاء •

وكانت هذه الجماعة الوليدة • هي نواة الأمة الاسلامية والمعبر الحقيقي التطبيقي والبرهان العملي على صلاحية النظام

الاســلامي ونجاحــه في خلق أمــة كبيرة سطعت شمسها في دنيا الناس • كما كان في ظهور هذه الجماعــة المؤمنة ــ المادة الحية للاســلام ــ في ذلك الوقــت العصــيب وقاية للعالم من الانحلال الاخــلاقي الذي كان يهــدده • بعد أن تحــقق سقوط سائــر النظم السائــدة في ذلك العصــر • فكان في ظهور النظام الاسلامي الربــاني على يد سيدنا محمــد صلى الله عليه وســلم في تلـــك الآونــة بالذات • عصــمة للانسانــية من الدمار والفتن والأخطار التي أحاطت بها • وهو ما يؤكــده رب العزة جل جلالــه حيــن حض على ضــرورة تحقيق الأخــوة والألفــة بين المهاجريـــــن والأنصــار • في نسق من منهجــه جل جلالــه فقال (الا تفعلــوه تكن فتنــة في الأرض وفساد كــبير) •

ولم يزل الرســول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتعهد أصحــابه ويتعهــدونه • ويربيهــم تربيــة دقيقة وعميقــة • ولم يزل القــرآن يسمو بنفوسهــم • ويذكي جمرة قلوبهــم • ولم تزل مجالـــس الرسول صلى الله عليه وســلم تزيدهم رســوخا في الدين وعزوفــا

عن الشهوات وتفانيا في سبيل الايمان • وحنينا الى الجنة • وحرصا على العلم • وتفقها في الدين • ومحاسبة للنفس • وطاعة في المنشط والمكره • ونفرة في سبيل الله خفافا وثقالا • فقد خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم للقتال سبعا وعشرين مرة في عشر سنين • وخرجوا بأمره لقتال العدو أكثر من مائة مرة فهان عليهم التخلي عن الدنيا • وهانت عليهم مجالسة أولادهم • ومعاشرة نسائهم في نفوسهم ونزلت الآيات بكثير مما لم يألفوه ولم يعهدوه • بل وبكل ما يشق على النفس البشرية اتيانه في المال والنفس والولد والعشيرة فنشطوا وخفوا لامتثال أمرها •

وانحلت العقدة الكبرى - عقدة الشرك والكفر - فانحلت العقد كلها وجاهدهم الرسول جهاده الأول • فلم يحتج معهم الى جهاد مستأنف لكل أمر ونهي • وانتصر الاسلام بنظامه وآدابه وأخلاقه وتربيته العلمية والعملية • على الجاهلية في المعركة الأولى • فكان النصر حليفه في كل معركة •

النظام الاسلامي أحدث أغرب انقلاب في تاريخ البشرية :

لقد أحدث النظام الاسلامي بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم وتربيته الايمانية أغرب تغيير شهدته البشرية عبر تاريخها الطويل • بما أحدثه في نفوس المسلمين وبواسطتهم في المجتمع الانساني كله • وقد كان هذا الانقلاب غريبا في كل شيء • كان غريبا في سرعته • غريبا في عمقه • غريبا في سعته وشموله • غريبا في وضوحه وقربه الى الفهم والتطبيق فلم يكن عسيرا ولا غامضا ككثير من الحوادث الخارقة للعادة • ولم يكن لغزا من الألغاز •

لقد دعاهم الاسلام الى الدخول في السلم كافة بقلوبهم وجوارحهم وأرواحهم كافة • فلم يشاق واحد منهم وحي الله عز وجل في قرآنه الكريم ولا رسوله صلى الله عليه وسلم بعد أن تبين لهم الهدى • ولم يجدوا في أنفسهم ضيقا ولا حرجا مما قضى • ولم يكن لهم الخيرة من أنفسهم بعد أن أمر أو نهى وحدثوا الرسول صلى الله عليه وسلم عما اختانوا أنفسهم وعرضوا

أجسادهم للعذاب الشديد اذا فرطت منهم زلة استوجبت الحد
ونزل تحريم الخمر والكئوس المتدفقة على راحاتهم ، فحال أمر
الله تعالى بينها وبين الشفاه المتلمظة ، والأكباد المتقدة ،
وكسرت دنان الخمر فسالت في سكك المدينة .

حتى اذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم ، بل خرج حظ نفوسهم
من نفوسهم وأنصفوا من أنفسهم ، انصافهم من غيرهم ،وأصبحوا
في الدنيا رجال الآخرة ،وفي اليوم رجال الغد ، ولاتجزعهم
مصيبة ، ولا تبطرهم نعمة ولا يشغلهم فقر ، ولا يطغيهم غنى ،
ولا تلهيهم تجارة ولا تستخفهم قوة ، ولا يريدون علواً في الأرض
ولا فساداً ، وأصبحوا للناس القسطاس ، والنظام الرباني المجسم
الحكيم ، قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين
والأقربين ، وطأ لهم أكناف الارض،وصاروا للبشرية عصمة ،وللعالم
وقاية ، ولدين الله الحق مثلا عليا في مسرح الحياة وللفضيلة
دعاة في دنيا الرذيلة ، واستخلفهم الرسول صلى الله عليه وسلم
في علمه وعمله ولحق بالرفيق الأعلى بعدأن حملهم المسئولية

والامانة بالتزام المنهج الربانى بلا حيدة أو مجافاة . وبين لهم أن فى استمرارية التزامه تحقق السعادة والنجاة .

فقال صلى الله عليه وسلم : " تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدهما أبدا . كتاب الله وسنتى " فلحق قرير العين من أمته ورسالته صلى الله عليه وسلم .

ومن ثم يمكن لنا أن نوضح لله الآن الأسس المنهجية والقواعد النظامية الأساسية فى الاسلام لتكوين الشخصية الايمانية .

مقومات النظام الاسلامى فى تكوين الشخصية الايمانية :

بان لنا فيما سبق كيف استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بناء المجتمع الايمانى الاول فى الامة الاسلامية على نمط تربوى فريد . أمكن من خلاله ظهور شخصية بشرية توقف عنده هذا التاريخ البشرى . ليعيد حساباته فى الهيكل العام للشخصية الانسانية من جديد ؟

والآن ينبغى أن نضع بين يديك مقومات النظام الاسلامى

في بناء وتكوين الشخصية الايمانية للانسانية السوية .

وبادئ ذي بدء نقول :

ان الايمان لا يعرف طريقه الى قلوب المؤمنين ولا يؤتي ثماره في حياة الموحدين قط . الا اذا كون المؤمن شخصيته وحدد هويته . فليس الايمان الفاظا جوفاء . ولا حركات خبط عشواء . لأن الله - عز وجل - لا يقبل الايمان الا اذا كان منسجما مع نظامه - تعالى - ومنهجه وشريعته وأحكامه . ومستقيما على طريقته . وكتابه العظيم قد أحكمت آياته . ونظامه القويم قد تناسقت أركانه وصفاته . وقد رد الله - عز وجل - على أقوام ايمانهم . وأبطل زعمهم . وذلك عندما (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) ..

وفي سياق هذا الرد الحكيم . جاء قول الرسول الكريم :
" ليس الايمان بالتمني . ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل "
وعلى ضوء هذه الحقائق . وفي سياق هذه الكلمات شرعت

في تناول هذا الموضوع في تبتل وخشوع . راجيا من الله عز وجل أن ينفع به أبناءنا وبناتنا . وأن يجعله باب الهداية لتكوين شخصيتهم . وبناء هويتهم لكي يكون أساسها الايمان . وقوامها الاتقان . وسياجها الاحسان . ومنتهاها عند الله - تعالى - في جنة الرضوان .

وجدير بالذكر أننا إذ نتحدث عن هذه القواعد . فانما نتحدث عن أصولها . ونخوض في عمقها . واذا تركنا شيئا فانما هو متفرع عنها . ومندرج تحت لوائها . وسوف نتحدث عن القواعد الاساسية الآتية :

١ - العقيدة الصادقة .

٢ - العمل الصالح .

٣ - الاحسان .

٤ - الاخلاص .

٥ - حب الايمان والمؤمنين .

٦ - ترويض العصر لخدمة الايمان وتحقيق مراد الرحمن من الانسان .

العقيدة الصادقة هي أساس بنيان النظام :

ان العقيدة الصادقة • هي أساس البناء في الاسلام• وتحققها بتدرج ما بعدها • لايصلح أي أمر في حياة الانسان المسلم الا بها • ولا يستنير الكون الا بنورها • ولا يمكن أن ينسجم الانسان مع الكون بما فيه ومن فيه • بل هي جوهر كل نجاح وفلاح • فالعمل لايكون متقنا الا بها والاخلاص لا يتحقق الا بصدقها • والاحسان ثمرة تشييدها • وحب الايمان والمؤمنين سبيلها وعرويش العصر وكل عصر لخدمة الايمان • وتحقيق مراد الرحمن من الانسان مقصودها •

فالجندي في ميدان الحياة لاينتصر الا بوجودها •وتحقيق معناها بالتزام نظامها وذلك لأن العقيدة الصادقة تصقل شخصية المؤمن • وتجعله شامخا راسخا قويا عزيزا بالايمان متوكلا على الرحمن • مدعما بالاحسان في كل مكان • وهو ما يفسر لنا سرصمود رجالاتها •وصبرهم بالغداة والآصال • والا فما سرصمود بلال وعمار بن ياسر • وأبوه ياسر وأمه سمية •

وخباب بن الأرت • وغيرهم وغيرهم ؟ ثم ما هو سر اقبال هؤلاء الابطال على الاستشهاد في سبيل الله حتى كان الواحد منهم يرمى ثمرات كان يأكلها • ويرى أن الوقت الذى يستنفذه في أكلها طويل • يباعد بينه وبين الشهادة في سبيل اعلاء كلمة العليم الخبير ؟

لا شك أن السر مستقر في صدق العقيدة • وصفاء نظامها • وطهارة مبادئها التي تبع فيها رحيق الاحسان فصنع حلاوة الايمان ونضارة الحياة وسعادة الانسان •

اذ جعل الاسلام العمل الصالح هو الترجمان الصادق • والمعبر عن عمق الايمان واستقراره • بل ان الايمان لا تعرف علاماته • ولا تجنى ثمراته •الا بالعمل الصالح • ومن أجل ذلك اقترن العمل الصالح بالايمان في معظم الآيات التي تناولت مفهوم الايمان ونصت عليه •

٢ - وضوح الابعاد النفسية والاجتماعية للنظام الاسلامي عمليا :

ان أبعاد النظام الاسلامي النفسية والاجتماعية في جانبها العلمي قد وضحت كثيرا فيما مضى • أما في جانبها العملي عبر الواقع الاسلامي فهي تاريخ لايجرؤ صعلوك جاحد على انكاره بدءً من عصر النبوة حتى تاريخنا المعاصر •

وان مما سجله التاريخ من أدلة واضحة وضوح الشمس في كبد السماء على ما نحن بصدده • تلك العبارة الرصينة التي قالها القائد العربي المسلم " ربعي بن عامر " الأمي البدوي لقادة الفرس :

" جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ومن ضيق الاديان الى سماحة الاسلام • ومن جور الانسان على الانسان الى عدل القرآن " •

هذه العبارة الوجيزة المبنى العظيمة المعنى • هي خلاصة مواثيق حقوق الانسان في الاسلام • بما فيها الحقوق النفسية

والاجتماعية • والتي يخضع لكلماتها أكبر ساسة العالم المتحضر الآن •

والمعنى الذي تنضح به هذه العبارة الشريفة • والذي فاه به رجل بدوي تربى على مأدبة القرآن في مدرسة الاسلام وجامعة الايمان • حتى تخرج قائدا يحمل شهادة الاحسان • لايعرف الحقد ولا الحسد ولا الطغيان • فقال مقولته بايحاء من عقيدة صادقة وايمان راسخ • وضمير يقظ • وفكر واع مستنير وقوة خلت من الهوى والتغرير •

قالها دون تكلف • يعجز عن فهمه • والتصريح به رجال محترفون • كما يعجز عن الارتفاع الى مستواه رجال حكم أكلوا شعوبهم • وكانت سيرتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية تجسيدا للوثنيات السياسية • وهي سيرة ابتعد العالم الراقي عنها فكيف من دونه ؟

اذا كان رب البيت بالدف ضارب ⁘ فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

ان ارتكاب الساسة جريمة تدمير الحقوق الانسانية بمعدهم

عن تطبيق منهج القرآن ونظمه التي تحمل كلمة الله الأخيرة الى البشرية كلها . وعدم مراعاتهم للبعد النفسي والاجتماعي للانسان . كما نظمه رب الانسان وخالقه . واصرارهم على محاربة دين الله تعالى والصد عنه بالاكراه الذوقي والفكري للمتلقي وتشويه صورته . كل هذا قد أدى الى جرائم بشرية بشعة متعددة الألوان والاساليب . تطن الآذان منها عند سماعها بها .

ففي أقطار مايسمونه بالعالم الاول حامي حمى اليهودية الصهيونية . والمسيحية الصليبية ةأنجر فيها ما يطلقون عليه اسم " الدين " هنالك الى مهادنة الشهوات الطافحة بل لقد انهزم أمام ضراوتها . وذلل لها العقاب . ليس لقوتها وتسلطها فحسب وانما لضعفه وتحريفه وانحرافه عن المنهج الرباني . والنص الحقيقي الذي نزل على كل من موسى وعيسى ومن بينهما من الانبياء عليهم السلام . والكفر بما جاء به خاتمهم عليه الصلاة والسلام .

يقول الشيخ محمد الغزالي :

" ان عجبي لا ينقضي من موافقة الكنيسة الانجيلية في انجلترا على اباحة اللواطة ، واقرارها بقوانين صدرت عن مجلس العموم واللوردات . والقوم يعلمون أن الله دمر على قوم لوط مدينتهم ، وجعل عاليها سافلها لهذا الشذوذ الذى اقترفوه كما أن عجبي لا ينقضي من بابا الفاتيكان الذى انطلق في افريقية يهاجم تعدد الزوجات الذى أباحه الاسلام ، وهو يعلم أن البكارة تختفي من الفتيات في الغرب قبل بلوغهن سن الزواج، إن ذلك شيء لا يقلق البابا ولا ساسة الغرب أما ما يقلقه فهو تقدم الاسلام في أى بقعة في العالم، ولذا يجب - في نظره - محاصرة عقيدة التوحيد بكل الوسائل مهما كان الثمن " . (المحاور الخمسة ص ١١) .

والحق أن المسلمين مقصرون ومسئولون عن بقاء هذا الفساد في العالم ، بل وعن امتداده الى ديارهم ، فهم ينزلون على أمر الله في تحريم الزنا ويلتزمون به ، وهذا حسن ، غير أنهم

قد غفلــوا ــ لاندري عن قصـد أم غير قصـد ــ عن مراعاة البعـد النفسي والاجتماعي في النظام الذي ينبغي أن يســود هم ويحكمهم كمسلمين حتى غلبوا العرف على الدين • وقدموا العادات والتقاليد على منهج الله وشريعتــه • وصار مقياس القبــول والحظوة عندهم حال الرغبة في الــزواج ــ مثلا ــ ماديا بحتا • نسبا وحسبا ومــالا وجمــالا • وجميعها موضــع تفاوت وأمرها ليس بيد الانســان • ولا قـدرة له حصولها • ولا حريــة له في اختيارها أو رفضهــا • لأنها أمور قـدرية بحتة لايمكــن أن يتحقق فيها التكافــؤ •

ومن ثم فهم على هذه الحــالة يكونون قد تركوا ما جعلـــه الاسلام سبيلا الى كل هذه الأمــور • ومبدأ التكافوء للفرص بيــن البشر • وأمره يتحــقق باختيار الانسان وارادتــه • وهو وحــده الذي بتحققــه أوعدمه يحكم على الانسان بالصــلاح أو الفســاد • فهو تركه لأهم الجوانب تحقيقــا • وهو الدين الذي جعلــه اللــه عز وجــل أساس الرباط بينهما • وعليه وبــه يؤخذ الميثاق والعهد من الرجــل كجانب قوي بحكم تكوينــه الجسدي • وقوامتــه الشرعــية

لصالح المرأة كجانب ضعيف لذات الأسباب السالفة [١] • وهو ما يوضحه قوله تعالى (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) سورة النساء •

وبالنظر الى ما سبق فان ما يفعله أكثر المسلمين - الآن - مخالف لنظام الاسلام وقواعده في مراعاته للجوانب النفسية والاجتماعية للانسان • وهو ما يعود على شباب الأمة المسلمة بالعقد والانحراف من جراء تعسيرهم للسبل التي يسرها الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن • ألم يقل الله عز وجل عنه : (ثم السبيل يسره) ؟•

لقد انتقلت اليهم عدوى الاعتداد بالمظهريات البراقة وآفة الحضارة الغربية المعقدة لصحيح الأمور وصوابها - رغم اباحية الباطل وشيوعية الرذيلة والفساد هناك • فأصابت هذه العدوى الحياة الاسلامية في مقتل • وعقدت سبيل الزواج بين الشباب •

---

(١) سوف يأتي لهذا مزيد بيان •

المرأة في العالم قبل الاسلام :

١ - في جزيرة العرب :

لم تشغل المرأة قبل الاسلام أي حق من حقوقها • بل لم يكن يعرف لها حقوق • وانما كانت مبتذلة ينظر اليها الرجل في العالم كله نظرة شائنة • اللهم الا نادرا ممن اتيحت لهن فرصة الرأي والتعبير والسيادة أو الريادة الاجتماعية في العالم • كبلقيس ملكة سبأ التي قص علينا القرآن خبرها في روعة وأمانة •

فلقد كانت المرأة في المجتمع الجاهلي عرضة للغبن والحيف تؤكل حقوقها وتبتز أموالها • وتحرم ارثها • وتعضل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من أن تنكح زوجا غيره وكانت تورث كما يورث المتاع أو الدابة •

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان الرجل اذا مات أبوه أو حميه فهو أحق بامرأته • ان شاء أمسكها أو يحبسها • حتى تفتدي بصداقها أو تموت فيذهب بحقها - بمالها - •

وقال عطاء بن رباح :

" كان أهل الجاهلية اذا هلك الرجل فترك امرأة حبسها أهله على الصبي يكون فيهم " .

وقال السدى : " ان الرجل فى الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فاذا مات وترك امرأته . فان سبق وارث الميت فألقى ثوبه عليها فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه . أو ينكحها فيأخذ مهرها . وان سبقته فذهبت الى أهلها فهي أحق بنفسها " .

وكانت المرأة فى الجاهلية يطفف معها الكيل . فيتمتع الرجل بحقوقه ولا تتمتع بحقوقها هى . يؤخذ بما تؤتى من مهر . وتمسك ضرارا للاعتداء وتلاقى من بعلها نشوزا أو اعراضا وتترك فى بعض الاحيان كالمعلقة . ومن المأكولات ماكان خالصا للذكور ومحرم على الاناث . وكان يسوغ للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء من غير تحديد . وهو مالا يمكن معه تحقق العدل بينهن بل يصبح معه الظلم لهن محققا لا محالة .

كما بلغت كراهة البنت حد الوأد . فقد أثبت التاريخ . ونوه

القرآن الكريم الى جريمة وأد البنات في قوله تعالى (واذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) وهو ما يؤكد أن جريمة وأد البنات كانت شائعة في جزيرة العرب بين القبائل قاطبة . فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة . حتى جاء الاسلام . فوجده فيهم متفشيا فحرمه ومنعه . وقد جاء مذاهبهم في مبررات الوأد عديدة ومختلفة . فمنهم من كان يئد البنات لمزيد الغيرة على العرض ومخافة لحوق العار بهم عن طريقهن من جراء تفشي الزنا بينهم . ومنهم من كان يئدُ مِنَ البنات من تكون زرقاء أو شيماء" سوداء" أو برشاء" برصاء" أو كسحاء" عرجاء" تشاؤما منهم بهذه الصفات ومنهم من كان يئدها خشية الانفاق وخوف الفقر . ومنهم من كان يئدها لتحقق الفقر بالفعل واعتبارها كلا لاتعين على أعباء الحياة . ولا تصلح للدفاع عن القبيلة . فكان يشتريهن بعض ميسوري العرب وأشرافهم .

قال صعصعة بن ناجية : " جاء الاسلام وقد فديت ثلاثمائة موءودة " ومنهم من كان ينذر - اذا بلغ بنوه عشرة - نحر واحدا

منهم • كما فعل عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم مع والده عبد الله •

ومنهم من كان يقول : ان الملائكة بنات الله — سبحانه — فألحقوا البنات به فهو أحق بهن •

وكانوا يقتلون البنات ويئدوهن بقسوة شديدة لانظير لها في بعض الاحيان • فقد يتأخر وأد الموءودة لظروف سفر والدها في القوافل أو شغله • فلا يئدها الا وقد كبرت وصارت تعقل • وقد يكون في ذلك عن أنفسهن مبكيات • وقد كان بعضهم يلقى الانثى من شاهق •

وقد كان السبب الرئيسي في ذلك التصرف القاسي مع البنات • هو تفشي الزنا • والذى لم يسلم منه الا قليلون ممن تأبت شيمهم على الوقوع في هذه الجرائم الاخلاقية التى سادت المجتمع العربى قبل الاسلام فلم يكن الزنا نادرا ولامستنكرا استنكارا شديدا بل كان من العادات — كما هو في أوربا والعالم الغربي المعاصر — أن يتخذ الرجل خليلات ويتخذ النساء أخلاء بدون عقد • وقد

كانوا يكرهون بعض النساء على الزنا .

قال ابن عباس : " كانوا في الجاهلية يكرهون اماءهم على الزنا ويأخذ ون أجورهن " أي أنهم كانوا يستغلونهن كسلعة لجمع الأموال ووسيلة لتحقيق الثراء .

أنواع النكاح في الجاهلية عند العرب :

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : " ان النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء • فنكاح منها هو نكاح الناس اليوم — أي النكاح الذي أقره الاسلام وشرع له النظم وأسس الروابط والعلاقات الأسرية — وصورته : أن يخطب الرجل الى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها • والنكاح الاخر : كان الرجل يقول لامرأته اذا طهرت من طمثها ارسلي الى فلان فاستبضعي منه • ويعتزلها زوجها ولا يمسها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه • فاذا تبين حملها أصابها زوجها اذا أحب • وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد • فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع • ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها • فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع أرسلت اليهم • فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعون عندها • فتقول لهم : قد عرفتم الذي كان منكم ومن أمركم • وقد ولدت فهو ابنك يافلان • تسمى من

أحبت باسمه فيلحق به ولدها ولا يستطيع أن يمتنع من جاءها .
ورابعها نكاح البغايا : كن ينصبن على أبوابهن الرايات
يكن علما عليهن . فمن أرادهن دخل عليهن فاذا حملت احداهن
ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة – أى عرافوا الأثر–
ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون ، فالتاطه ودعى ابنه لا يمتنع
من ذلك " .

كما كان يوجد نوع خامس من أنكحة الجاهلية يسمى
" نكاح الخدن " وكانوا يقولون ما استتر فلا بأس به . وما ظهر
فهو لؤم . وهذا النوع من النكاح عام وشائع فى البلاد الغربية
وفى العصر الحديث تحت مسمى الصداقة والخلة . وهو مذكور
فى القرآن الكريم على سبيل النهى والذم فى قوله تعالى
(ولا متخذات أخدان) .

ونوع سادس ويسمى " نكاح البدل " وهو أن يقول الرجل
للرجل : " انزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى وأزيدك " .
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق . هدم كل هذه
الانكحة الجاهلية الا نكاح الناس اليوم ؟

وهذا النظام الذى أبقى عليه الاسلام لايتحقق الا بتحقيق أركانه من الايجاب والقبول وشرط الاشهاد والصداق • وبهذا يتم العقد الذى يفيد حل استمتاع كل من الطرفين بالآخر على الوجه الذى شرعه الله عز وجل وارتضاه • وبه تثبت الحقوق والواجبات التى تلزم كلا منهما •

٢- المرأة فى الصين :

وأما فى الصين فقد كانت المرأة دائما منحطة وضيعة • وفى أدبهم الشعرى القديم يروى عن بطل ولد له بنون فاضطجعوا على وسائد ناعمة • وولدله بنات فنمن على الارض الوعرة • وفى عقيدتهم وأعرافهم أن المرأة خلقت من جنس أدنى من جنس الرجل وأنها قد خلقت للأعمال الحقيرة الدنيئة •
وما عادة جزم الأرجل بأحزمة من حديد منذ الصغر - والتى أخذت تضمحل بسبب عوامل الاتصال بين الشعوب • الا أثر من آثار امتهانهم للمرأة واستعبادهم لها • ولم يعمل "كنفوشيوس" الفيلسوف الصينى شيئا للمرأة لينهض بمكانها هناك • وليغير من نظرة

بنى جنسه لها وانما آثر البقاء لها فى المستوى الذى وضعت فيه •

ولقد كتبت احدى سيدات الطبقة العليا بالصين • رسالة قديمة تصف فيها مركز المرأة • فكان مما جاء فيها : " تشغل نحن النساء آخر مكان فى الجنس البشرى ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال "

وهذه العبارة توضح ما كانت عليه المرأة الصينية الى عهد قريب • حيث يبدو تكشير المرأة هناك عن أنيابها وانتظارها فرصة التغلب على وضعها المعين الذى تعلن رفضها له فى سخرية ونفور • انه الوقت الذى سمح فيه للمرأة أن تعبر عن رأيها • وتعلن عن مشكلاتها وتبحث السبل التى تمكنها من قهر القوانين والأعراف حتى يمكنها التخلص من سلطان الرجل •

أخذت المرأة فى الصين تعلن عن رأيها بعد أن ألمت بها التعاسة دهورا طويلة • فما كانت تجد وسيلة أفضل من الغناء يمكن أن تكون متنفسا لها • واستجلابا لمن يناصرها • ويرفع عنها أمرها • والاغلال التى تكأكأت عليها • فكان من أغانيهن :

" الا ما أتعس حظ المرأة • ليس في العالم كله شيء أقل قيمة منها • ان الأولاد يقفون متكئين على الأبواب كأنهم آلهة سقطوا من السماء • أما البنت فان أحدا لا يسر بمولدها • واذا كبرت اختبأت في حجرتها تخشى أن تنظر في وجه انسان • ولا يبكيها أحد اذا اختفت من منزلها " •

وفي نظرتهم لها — كما هو واضح — قريب شبه بنظرة المجتمع العربي لها قبل الاسلام وهو ما ذمه الله عز وجل فيهم وعابهم عليه • في قوله تعالى (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم • يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون) •

٣ - المرأة في البوذية :

قامت البوذية كرد فعل للطبقية الهندوسية ، وكفرا بكل مبادئها وتعاليمها ، الا في نظرتها للمرأة ، فلقد زادتها سوءا وتجاهلت كيانها تماما وكأنها جماد أصم ، بل ودعت الى تجاهلها وغض الطرف عن وجودها ، اذ نظرت اليها على أنها أساس مساوئ الحياة ، وأصل انحراف الرجال ، وسبب ضياع الانسانية وتدميرها ،

لقد قامت دعوة " جوتاما بوذا " في ظاهرها ، كحركة عملية ورسالة فكرية موجهة لجميع الناس ، وليس بها تمييز بين الطبقات ، ومن ثم أبى أن يعترف بسلطان الكهنوت البرهمي ، وكان يومئذ في بداية عهده - ولم ينهج نهج غيره من النساك الزاهدين في عهده ، غير أن دعوته الفكرية لم يكن هدفها ازالة البؤس عن البائسين من الفقراء أو المعوزين - المحتاجين - والمظلومين بالدعوة الى اصلاح أحوالهم في المجتمع ، ومن ثم لم تلق قبولا بين العامة من الشعب ، ذلك لأن دعوته كانت

في أرقى أوضاعها عقلية ٠ وتقول النصوص البوذية في رنة من الرضى والاكتفاء : " ان غالبية الذين اهتدوا الى دعوته في عصره كانوا من الاثرياء ومن النبلاء " وفضلا عن ذلك :
فقد أبدى تمنعا وعزوفا عن قبول النساء في دعوته ونظامه ٠
وكان في الحق كثير الريبة والشك نحو المرأة ٠ ويوما ما سأله " أناندا " أقرب خلصائه وأتباعه : " كيف نتصرف نحو النساء ؟ "
فأجابه " لاتقع عينك عليهن " فقال له : واذا ما وقعت أعيننا عليهن فماذا نفعل ؟
قال : " لاتكلمهن يا أناندا " فقال له : وماذا لو كلمتنا فماذا عسانا أن نفعل ؟ قال : " اهرب منهن " ٠

إلا أنه بعد ذلك لم يستمر في الاصرار على رفضهن ٠ بل اضطر للخضوع تحت ضغط الحوادث ٠ غير أنه أمام الضرورة لم يجد الا أن يضع قواعد وأصولا لراهباته ٠ فقال : " لو أن هذا لم يحدث - أي قبوله للنساء في نحلته - لظل هذا الدين الطاهر قائما ألف سنة ٠ أما الآن وقد دخلته النساء فلن يستمر

أكثر من نصف هذه المدة " وهو بهذا يحكم بأن المرأة سبب رئيسي في فساد الدين وتدميره ، والتعجيل بالقضاء عليه .

ومن هذه القيود التي فرضها على أتباعه رجالا ونساء - ضماناً لاستمرار تعاليمه " أن يرتدوا جميعا ثيابا صفراء - رمزا للذلة والانكسار والرهبنة - وشعارا للزهد والتقشف ، وأن يحلقوا رؤوسهم ، وأن يعيشوا حياة الفقر والاستجداء والعفة ، وأن يتخلوا عن الروابط الارضية - برفض الزواج - وأن لا يميزوا بين طبقات الناس .. الخ " .

ومن ثم حملت دعوته الرفض للمال والثراء والزواج والتخلي عن الحياة ، فكانت دعوة سلبية ، لاتتفق بحال مع طبيعة الانسان وتكوينه .

٤ - المرأة في اليونان :

أما في اليونان القديمة فيكفي أن المرأة في العصر الذهبي لم يكن لها أي دور في حضارته ، اذ كانت معزولة عن المجتمع تعيش في أعماق البيوت على أنها سقط متاع ، حتى كان من مفكريهم ومؤرخيهم الكبار من ينادي " يجب أن يحبس اسم المرأة في البيت كما يحبس جسمها " .

وكان ينظر الى الزوجية على أنها " وظيفة " لاستيلاد الاطفال فحسب لاتعلو كثيرا عن " وظيفة " الخدمة في البيوت . ولم يكن من الاوضاع المألوفة أن تكون الزوجة موضع حب وعطف فان لتلك المشاعر مجالا آخر غير محيط الزوجية - عنه هنم - عبر عنه " ديموستين " خطيبهم المشهور فيقول : " اننا نتخذ العاهرات للذة ، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليومية ، ونتخذ الزوجات ليلدن لنا الأبناء الشرعيين " .

وعلى هذا كانت المرأة " الزوجة " تنقل من بيت أبيها الى بيت زوجها لا لتكون سيدة البيت في بيت الزوجية ، فيعلو

شأنها ويرتفع قدرها . وتكون محلا لحبوة الزوج ورعايته وعطفه ورقته وحنانه . بل لتؤدى عمله . الى جانب الخدم . وظيفتها في استيلاد الأطفال وحضانتهم .

ومن ثم فهي لم تكن محظية عند الرجل اليوناني كزوجة وأم . وكبنت لأن للحظوة واللذة والحنان والحب . مكان آخر لا يحق للزوجة أن تعترضه أو تبدى فيه رأيا . فالحرية كل الحرية للرجل في علاقاته خارج الزوجية ليعوض ما يأنف أن يكون منه في بيته من الحب والعطف والحنان والرحمة والتكريم للزوجة .

فأى امرأة يمكن أن تقبل على الزواج - راغبة - وهى ترى هذا العبث بحقوقها . تسلبه منها عاهرة أو خليلة ؟ ان زواجها لا يلبى لها رغباتها الطبيعية كامرأة . وعهرها يلبى لها رغباتها الطبيعية مما تحب أن تناله المرأة من الرجل . فالى أى طريق تسير . وفى أى مجال تسلك ؟

ألا ترين أن نظرة الرجل الى المرأة في اليونان . تدعوها صراحة أن تسلك طريق العهر والمجانة والمخاللة ؟ ألا ترين أنها دعوة الى فساد المرأة وافسادها اذ جعل الزواج نكبة

على المرأة - الزوجة - وقسوة وغلظة ؟ في الوقت الذى يجعل فيه المهر بابا للذة والمتعة • والرحمة والحب والعطف والحنان ؟ فأين هذا من الاسلام الذى حرم الزنا والمخاللة والمهر• وأمر أن يتعامل معها بحزم وشدة • حفاظا للمرأة وحرصا على حقوقها لدى الرجل في اطار الشرع الصريح والدين الحنيف • وصونا لمكانتها وعزتها ؟

فقال تعالى (عن الزناة (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) وينهى عن اتخاذ الاخلاء والخليلات فيقول (ولا متخذات أخدان) •

وليس هذا فحسب • بل يجمع للمرأة الزوجة في دين الله كل أنواع الحب والعطف والرحمة والمودة لتكون الزوجة هي الحبيبة والخليلة والحظية بالقبول والود والرحمة وصاحبة السر وأم الولد • وسيدة البيت • والحليلة •• الخ ••

فيقول جل جلاله : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا

لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وهي باب الخير للمسلم مادامت صالحة طاهرة نقية • فيقول الله عز وجل (فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)

وهي أم الولد والحليلة : في قوله تعالى (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله ٠٠ الآية)

وهي صاحبة سر الرجل وخزانة أماناته ٠٠ فيقول الله تعالى (وقد أفضى بعضكم الى بعض ٠٠٠ الآية) •

فيا لعظمة الاسلام ٠٠ ألا فلتدرك النساء ٠٠ وليعلم الرجال •

٥ ـ المرأة في الهند :

إننا نطوف بالأخت المسلمة جنبات التاريخ مع المرأة .
لتدرك عظمة ما حباها الله عز وجل به من خصائص وفضائل
في دينه الحنيف الذى جاء به نبيه ورسوله الخاتم الى البشرية
ولتدرك المرأة في العالم بأثره أنه لولا الاسلام لظلت ترتع في
ربقة الأغلال . وتكبح في رسوف القيود . أسيرة الاستبداد
والقهر والظلم . حبيسة التقاليد والاعراف والعادات وخيالات
الجهل باسم الحضارة والفكر . وتجاسرا باسم الدين .

نطوف بالأخت المسلمة لنقول لها : أى الفريقين أحق
بالأمن ؟ المرأة في الاسلام ؟ أم المرأة خارج تعاليم الاسلام ؟

نطوف بها لنقول لها : لايغررنك صيحات الجاهلين ونعراتهم
فهم حاسدوك على الفضيلة . حاسدوك على الاستقرار والعدل
وتعاليم الحق . يريدون العودة بك الى جاهلية القرون الأولى
ليذيقوك ماذاقته أمهاتهم دهورا طويلة ولايزلن حتى ذلك

أيضـا • رغم ما يدعى من تمتعهن بالحريـة • فانما هى تحـــرر لا حرية • فهلا فقهـت ؟

ومن ثم فاننا نطـوف بك جنبـات العالم القديم لتعرفيـــن فضل الاسلام عليك وعلى قريناتـك فى العالم ما التزمتن به •

ولتحققى خطـواتك فى ثبات ويقين ورسـوخ • ولتفخرى بما حققـه لك الاسلام على أرض الحياة • أمام بنات جنسـك سابقات ومعاصرات ولاحقات ممن لاتدين بالاسلام فى العالم كله قديمة وحديثـة ؟ وبضدها تظهر الأشـياء :

فمن تلك الصور التى رفضها الاسلام عن وضـع المرأة فى العالم — فضلا عما سبق — صورتها فى الأمة الهندية •

اذ يجد الباحث القارئ لاساطير " مانو " قوله : " عندمـا خلق النساء فرض عليهن حب الفراش والمقاعد والزينـة • والشهوات الدنسـة • والغضب • والتجرد من الشـرف • وسوء السلـوك • فالنساء دنسات كالباطل نفسه • وهذه قاعـدة ثابتة " •

وفى تشريعاته " أن الزوجـة الوفيـة ينبغى أن تخدم سيدها

ـ زوجها ـ كما لو كـان الهاً والا تأتى شيئا من شأنه أن يؤلمه حتى وإن خلا من الفضـائل والاخلاق " .

وكانت المرأة بناء على ذلك كـله تخاطب زوجها في خشـوع وخضـوع قائلـة " يامولاى " وأحيانا " يا الهى " وتمشى خلفه ـ كما لو كانت جاريتـه ـ بمسافة . وقلما يوجـه اليها هو كلمة واحـدة وكانت لاتأكل معه . ولا تقرب الطعام حتى يأكل فان شبع أكلت مما تبقى بعده من طعـام .. "

فهل هكـذا تكون كرامـة المـرأة ؟

٦ - المرأة عند الرومان :

وفى الحضارة الرومانية - فى عهد الجمهورية الاول - أى فى أنصع عصور الحضارة الرومانية وزهو ازدهارها - كان رب الاسرة هو رئيسها الدينى وحاكمها السياسى ، ومديرها الاقتصادى ، فاليه ترجع الحقوق كلها، ومنه تصدر الأوامر التى لاتناقش ولا ترد ، فهو الذى يملك القرار ، وهو الذى يملك المال والثروة ، وهو الذى يبيع ويشترى ، ويتعاقد ويتصرف فى كافة شئون أسرته ، أما المرأة فلم يكن لها الى جانبه أدنى حق أو شىء اذ لم تكن لها أهلية ، أو شخصية - صفة - قانونية ، فقد كان القانون الرومانى يعتبر الانوثة سببا مباشرا وأساسيا من أسباب فقدان الاهلية وانعدامها ، كالحداثة والجنون ، والشيخوخة .

وفضلا عن هذا ، فلقد بلغ من ذلك أن البائنة المالية أوما يسمونه " بالدوطة " الذى كانت تنتقل به المرأة من بيت أبيها ، تصير ملكا خالصا وتلقائيا لزوجها بمجرد تحولها اليه

فبدلا من أن يكرمها بامهارها • لاقامة الدليل على طلبها • تمهره هي وتصير هي الطالبة بدلا من أن تكون مطلوبة • وهو مالا يليق ووضع المرأة البيولوجي،كما لم يكن لها أن تظهر في المحكمة ولو شاهدة •

ولقد عرف عنه الرومان نوعا من الزواج اسمه" الزواج بالسيادة" وبه تدخل المرأة في سيادة زوجها • وتصير كابنته • وتنقطع صلتها بأسرتها الاولى • ولقد بلغ من سيادة زوجها عليها أنها كانت تحال اليه اذا ما أتهمت بجريمة ليحاكمها ويعاقبها بنفسه وكان له أن يحكم عليها بالاعدام في بعض التهم كالخيانة مثلا • وكان اذا توفي زوجها دخلت في وصاية أبنائها الذكور • أو أخوة زوجها • أو أعمامه • ولم تتحرر المرأة الرومانية من هذه القيود الا يوم أن تحرر منها الرقيق • على اثر التمرد،ثورة بعد ثورة • فتعذر استرقاق المرأة كما تعذر استرقاق الجارية والغلام •

٧ - المرأة عند اليهود :

ومع أن اليهودية ذات أصل سماوي الا أن مواريث البداوة دعت بعض طوائفهم أن يعتبروا البنت دون مرتبة أخيها ، وهبطوا بها حتى ساووها بالخادم ، ومنعوها من الميراث مع اخوتها الذكور ، ولأبيها أن يبيعها وهي طفلة أو دون البلوغ .

ولقد ادعى بعض المؤرخين الغربيين أن الاسلام خليط من الشرائع التي تقدمته ولاسيما الشريعة الموسوية ، لأجل أن يقطعوا الصلة بينه وبين الوحي الالهي المباشر علما بأن هذه الدعوى دعوى قديمة أثبت الله بطلانها في القرآن الكريم ذاته في قوله تعالى (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والارض ... الآية) .

كما يتضح بطلان هذه الدعوى من خلال المقابلة بين مكانة المرأة بالافصاح عن حقوقها في شريعة اليهود ونصوصهم المقدسة

ومكانة المرأة بالافصاح عن حقوقها الشرعية التي قررها الاسلام ونصت عليها أحكام القرآن والبيان .

ففي العهد القديم - كتاب اليهود المقدس - أن البنت تخرج من ميراث أبيها اذا كان له عقب من الذكور . وماعدا هذا الحكم الصريح فهو من قبيل الهبة التي يختارها الأب في حياته . حيث لايجب الميراث وجوب الحقوق الشرعية لها بعد الوفاة .

وفي العهد القديم نصوص كثيرة تدل على ما نقول منها :

ماجاء في شأن أيوب وصنيعه بشأن النساء . ففي الاصحاح الثاني والاربعين من سفره : " ولم توجد نساء جميلات كنساء أيوب في كل الارض . وأعطاهن أبوهن ميراثا بين اخوتهن . وعاش أيوب بعد هذا مائة وأربعين سنة " .

والحكم المنصوص عليه في حق الميراث أن تحرم البنات ما لم ينقطع نسل الذكور وان البنت التي يؤول اليها الميراث لا يجوز لها أن تتزوج من سبط آخر ولا يحق لها أن تنقل ميراثها الى غير سبطها . وجاء هذا الحكم بالنص الصريح في غير موضع من

العهد القديم . وفيما يلي نقدم له بعض النماذج :

ففي الإصحاح السابع والعشرين من سفر العدد " أن بنات " صلفحاد بن حافر " وقفن أمام موسى والعازار الكاهن . وأمام الرؤساء . وكل الجماعة لدى باب خيمة الاجتماع قائلات : أبونا مات في البرية . ولم يكن في القوم الذين اجتمعوا على الرب في جماعة قورح " قارون " بل بخطيئته مات ولم يكن له بنون . لماذا يحذف اسم أبينا من بين عشيرته لأنه ليس له ابن ؟ أعطنا ملكا بين أخوة أبينا . فقدم موسى دعواهن أمام الرب . فكلم الرب موسى قائلا : بحق تكلمت بنات صلفحاد . فتعطيهن ملك نصيب بين اخوة أبيهن . وتنقل نصيب أبيهن اليهن . وتكلم في بني اسرائيل قائلا : أيما رجل مات وليس له ابن تنقلون ملكه الى ابنته . وان لم تكن له ابنة تعطوا ملكه لاخوته وان لم يكن له أخوة تعطوا ملكه لأخوة أبيه . وان لم يكن لأبيه أخوة تعطوا ملكه لنسيبه الأقرب اليه من عشيرته فيرثه . فصارت لبني اسرائيل فريضة قضاء كما أمر الرب موسى " .

ويلي ذلك من الاصحاح السادس والثلاثين أنه : " لا يتحــــول نصيب اسرائيل من سبط الى سبط ، بل يلازم بنو اسرائيل كل واحد سبط آبائه ، وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بني اسرائيل تكـــون امرأة لواحد من عشيرته سبط أبيهـــا لكي يرث بنو اسرائيل كل واحد نصيب آبائه ، فلا يتحـــول نصيب من سبط الى سبط آخر ، بـــل يلازم أسباط بني اسرائيل كل واحـــد نصيبه كما أمر موســـى" .

* المرأة في اليهودية هي المسئولة عن شقاء البشـــرية :ــ

تحمل أسفار العهد القديم المرأة تبعة خروج آدم وذريته من الجنة ، وهذا يعني أنها ــ عندهم ــ هي السبب الرئيسي والمباشـــر فـــي شقاء البشرية وحرمانها من النعيم ولولاها ما استطاع الشيطان سبيلا الى الانسان ، فهي عون له باغرائها بما تملكـــه من وسائل الجذب للرجل ، على تحقيق مآربـــه في اغوائـــه واضلالـــه ، واخراجـــه مـــن الطاعـــة الى العصـــيان ، ومن الهداية الى الضلالة .. الخ .

وهذه هي نصوص كتبهم تقـــول :

" كانت الحية أصل جميع الحيوانـــات البرية ، فقالت للمرأة : أحقـــا

قال الله لاتأكلون من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة نأكل . وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله " لاتأكلا منها ولا تمساه لئلا تموتا " . فقالت الحية للمرأة : لن تموتا . بل الله عالم ان يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر . فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للاكل وأنها بهجة للعيون . وأن الشجرة شهية للنظر . وأخذت من ثمرها وأكلت . وأعطت رجلها معها أيضا فأكل . وانفتحت أعينهما . وعلما أنهما عريانان . فخاطا أوراق تين . وصنعا لانفسهما مآزر . وسمعا صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله وسط شجر الجنة فنادى الرب الاله آدم . وقال له: أين أنت . فقال : سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان واختبأت . فقال : من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها ؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة . فقال الرب الاله للمرأة : ماهذا الذي فعلت ؟ فقالت

المرأة : الحية أغرتني فأكلت • فقال الرب الاله للحية : لأنك فعلت هكذا ملعونة أنت من جميع البهائم • ومن جميع وحوش البرية • على بطنك تسعين • وترابا تأكلين كل أيام حياتك • وأضع عداوة بينك وبين المرأة • وبين نسلك ونسلها • • • • • •
وقال للمرأة : تكثيرًا أكثر أتعاب حبلك • بالوجع تلدين أولادا • والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك •
وقال لآدم : لانك سمعت لقول امرأتك • وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلا لا تأكل منها • ملعونة الارض بسببك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك • وشوكا وحسكا تنبت لك • وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك •• تأكل خبزا حتى تعود إلى الارض التي أخذت منها • لأنك تراب والى تراب تعود " سفر التكوين الاصحاح الثالث" •

وهكذا تؤكد أسفار التوراة المنسوبة الى موسى — عليه السلام — باطلا طبعا — أن المرأة هي سبب شقاء البشرية جملة وأفرادا وأنه بسببها لعنت الارض ومن عليها • وحل بأهلها التعب والمشقة

والآلام من جرائها • عقابا لهم على عدم التصدى للمرأة • والوقوف منها موقف العنف والتسلط والاحتراز منها • ومجافاتها • والبعد عنها • فهى فى نظر أسفار اليهود من فصيلة الشيطان عدو الله والانسان •

وليس معنى هذا أنها هى الاخرى قد نجت من العقاب الالهى • بل توعدها الرب الاله — فى زعمهم — بالعذاب والنكال وحكم عليها باشتداد الآلام وتكثيرها المتمثلة فى الحيض والحمل والولادة ، ونسى كاتب الاسفار أن هذه هى طبيعة الانثى فى سائر الكائنات الحية • وفطرة الله التى فطرها عليها معدة لهذا الامر • ومن حكمته تعالى أن جعلها تستقبله بلذة وشغف واشتياق وانتظار وسعادة • وانا لقائلون لهم • لا تفتروا على الله ولاتظلموا المرأة فى تكوينها وطبيعتها،فاذا كانت هذه نظرتكم لطبيعة تكوين المرأة • نسبة إلى ذنوبها وجرمها كما تدعون • فما هو الذنب الذى ارتكبته سائر الاناث فى الكائنات الحية فى الوجود كله ؟ هل اغرت هى الأخرى ذكورها على الأكل من الشجرة ؟

ولكن مهما نقول فلا يمكــن لنا أن نغير موقف اليهود من المرأة ٠

أو ليس من العجب العجاب أن تجعل أسفار اليهود — المنسوبة الى موسى عليه الســلام اشتياق المــرأة لرجلها وزوجها وقوامتــه عليها، وفي قول كاتبهــا "يسود عليك " لونا من ألوان العقاب لها ؟

المرأة في المسيحية :

في المسيحية غلا رجال الكنيسة في اهدار شأن المرأة وهم دعاة شريعة الحب والرحمة ، فكانوا يقولون للنساء قولا له وزن الشرع المقدس " انه أولى لهن أن يخجلن من أنهن نساء ، وأن يعشن في ندم متصل جزاء ماجلبن على الارض من لعنات " .. فكانت تعاد بهذا نفس العبارات التي قالها "مانو" فيهن ، وهي أن النساء باب الجحيم ، وأنهن الخطيئة مجسمة ، كما أن كلام علماء المسيحية في المرأة على هذا النحو يؤكد امتداد المسيحية لليهودية امتدادا طبيعيا في ترديد تعاليمها وأفكار كتابها .

وقد ذهب البعض الى أبعد من هذا ، فزعموا أن أجسامهن من عمل الشيطان وأنه يجب أن يلعن النساء لأنهن سبب الغواية وكان يقال ان الشيطان مولع بالظهور في شكل أنثى ، وهو ترديد لنفس مافي العهد القديم بشأن المرأة . اذن فالمسيحية لم تنصف المرأة ، ولم تخرجها من دائرة الظلم الواقع عليها .

بل الأدهى من ذلك أنها حرمتها حق الحياة الطبيعية التي خلقها الله لأجلها فابتدعت نظام الرهبنة وهو التجنب الكامل للمرأة والتنكر لها وحرمت عليها الطلاق إن تزوجت • وحرمت على الرجل أن يتزوج أكثر من واحدة فمنعت نظام التعدد • وفرضت على المرأة أن تبقى معلقة ان كرهت العيش مع زوجها • أو كره هو العيش معها • وجعلت كل امرأة مطلقة مفضوحة في عرضها فلا طلاق الا لعلة الزنا في المسيحية وهو ما يعني أن كل امرأة مطلقة في المسيحية زانية موصومة بالعار •

وقد غلا رجال الكنيسة وعبثوا بحقوق المرأة الى هذا الحد حتى كان من موضوعاتهم التي يتدارسونها •

هل للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل ؟

هل تدخل الجنة وملكوت الله ؟

هل هي انسان له روح يسري عليه الخلود ؟ أم هي نسمة فانية لاخلود لها ؟

فالمرأة في المسيحية تضيق بوضعها • واني لأعرف امرأة

مسيحية يعيش بعيدا عن زوجها بعد أن أنجبت منه ولدا منذ
أكثر من سبع سنوات وقد طلبت الطلاق من زوجها بعد أن استحالت
عشرتها معه في المحكمة الا أن المحكمة رفضت قانونية طلبها
وهي الآن معلقة في بيت أبيها لأن تعاليم المسيحية ترفض الطلاق
فانظروا الى أي حد ضاقت المسيحية ذرعا بحالها ؟ وكيف تجنت
عليها مسيحيتها ؟ ولكن أين المفر ؟ وما الخلاص لها من
أزمتها ؟

خلاصة الأخطاء في حق المرأة وبيان موقف الاسلام منها :

كانت تلك ملامح أو معالم موجزة ، تعطينا حكما صادقا عن الوضع الاجتماعي للمرأة في كثير من البيئات القديمة المتحضرة متدينة وغير متدينة ويمكن مما تقدم تلخيص الاخطاء القديمة فيما يلي :

١ـ أن انسانيتها لم تكن موضع اعتبار لدى الرجل ، فلم يكن لها جهد معلوم أو دور مقرر تسهم به في تنظيم المجتمع ، وقد رأينا كيف هبط بها بعضهم حتى كانوا يتدارسون فيما بينهم : هل المرأة انسان له روح أم هي حيوان نجس لا روح له ؟

٢ـ أنها لم تكن لدى كثيرين أهلا للتدين والتخلق بالفضيلة وقد رأينا أن " مانو " في قانونه يجردها من شرف السلوك ، ورأينا غيره يتابعه على ذلك ، ويتشكك في أهليتها لعبادة الله واستحقاقها للنعيم في جنته ورحمته .

٣ـ انعدام المساواة بين الابن والبنت في نطاق الأسرة ، كما رأينا لدى العرب وقدامى الصين ، واليهود ، وانعدامها

كذلك بين الزوج والزوجة كما رأينا لدى الهنود وغيرهم ·

٤ـ فرضية حبس المرأة وقصر حريتها في تحديد مستقبل حياتها واستمرار زوجيتها في مساواة ظالمة بينها وبين الرجل كما رأينا في المسيحية ·

٥ـ اهدار شخصيتها القانونية وأهليتها الشرعية في التصرف والملك والمال اذ كانت لاتملك ولا ترث · ولا تبيع ولا تشترى ولا شركة أو نحوها من الشئون الاقتصادية والاجتماعية والسياسية · وقد رأينا كيف كان القانون الرومانى يعتبر " الانوثة " سببا من أسباب انعدام الأهلية ·

ويمكن لنا أن نجمل تلك الاخطاء الجسيمة في حق المرأة في خطأ واحد · هو أن " انسانيتها " لم تكن محل اعتبار لدى الرجل اما لجحود تلك الانسانية · وتجريدها منها البتة · واما لاحساسهم به في المحيط العام · والمقرر أن أنوثة المرأة — مع مقتضيات الحياة التى أشرنا اليها — كانت السبب المباشر في تسلسل تلك الاخطاء وتطورها الى الوضع الذى عرضنا بعض ملامحه · ولهذا

كان من حكمة الاسلام وأصالته أنه حين عرض لتقرير مكان المرأة من الحياة عرض له على أساس الواقع في تقويمها ، أو تكوينها الفطري الجامع لخصائصها الروحية والحسية .. فأعلن انسانيتها التي تستوي فيها مع الرجل وأعلن وصفها الخاص الذي تنفرد به عنه باعتبارها أنثى .. وفي تشريعه لكل من هذين الوصفين لم يقصر بها عن الوضع الذي قررته الفطرة الالهية للانسان ، ولم يجاوز بها المدى الذي رسمته الطبيعة التكوينية للأنثى .

ورعاية لهذا وتأسيسا عليه سأتناول نظام الاسلام في توطيده مكانة المرأة ونظرته اليها ، في وصفها العام الذي يلم بمقتضيات انسانيتها وأهليتها لتملك القيم الاقتصادية والتصرف فيها ، وممارسة واجبها في اصلاح المجتمع ، ورعايتها لمثله وقيمه وعقائده وآدابه ، وارشاده الى شتى المصالح الممكنة وهو ما سنخص به القسم الأول من دراستنا .

كما أتناول نظام الاسلام في توطيده مكانة المرأة ، ونظرته اليها من خلال الوصف الخاص ، نقدم من خلاله أوضح معالم

الاسلام فى تكوين الاسرة المسلمة ونظم بنائها فى الزواج والامومة • ورعاية أفرادها • وكذا نظام الاسلام فى الطلاق وآدابه • واجمال ما للمرأة فى الاسلام من حقوق وما عليها من واجبات • وخلاصة ما رسم الاسلام فى ذلك كله من أهداف للاسرة المسلمة • وهو ما سأخص به القسم الثانى من دراستنا •• وعلى الله قصد السبيل •

الفصل الثالث
الأسـرة فى الإسـلام

" الاسـرة في الاسـلام "

الامـة مجموعـة من الاسر • والاسرة أساس قوى لتماسك بنـاء المجتمع واقامة صرح الانسانية • والزواج عماد الاسرة • به تنشأ وتتكون • وفي ظله تقوم الاسـرة بدورها في الحياة • حيث تتفرع أواصـر القرابـة وتمتد •

ومن هنا ندرك أهمية الزواج في بناء الاسرة وأهمية الاسرة في الاسلام والله سبحانه وتعالى يذكر الانسانية بروابط الاسرة ذلك داعيا الى مراعـاة الحقوق والواجبـات والاداب والاخلاص والصدق يقول تعالى في الآية الاولى من سورة النساء :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون بـه والأرحام إن الله كان عليكم رقيبـا) •

فالله سبحانه وتعالى يأمر بالتقـوى في هذه الاية مرتين — كما ترى — يفيد الاول أن ذكر الخلق على هذه الصورة مما يدل

على قدرة باهرة ونعم سابغة تستوجب الشكر والطاعة والخشية والتقوى لهذا القادر العظيم وذلك المنعم الكريم • ويفهم الثاني أن المراد هو الامر بتقوى خاصة تنطق بحفظ ما بينهم من صلات اجتماعية وحقوق انسانية فلا يقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ولا يفسدوا في الارض وليتقوا من وصل بينهم حيث جعلهم من نفس واحدة •

وهذه المعاني تبرز في وضوح دور الاسرة في حياة المجتمع الانساني ولهذا اهتم الاسلام ببناء الاسرة ووضع لها من الركائز مايضمن حسن مسيرتها •

وكان الزواج في الاسلام باب من أبواب السعادة والنجاح والطريق الامثل لذوى الفطر السليمة •

واحدى آيات الله الكونية والانسانية • تدعو الى التفكر والتأمل الباعث الى الحكمة والاهتمام بالزواج • قال تعالى في سورة الروم : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

فهذه الآية الكريمة تضمنت في أعماقها آيات كبرى وكلها تشير الى فيض الحكمة الالهية .

وقد تلتمس الغايات من الزواج كثير من علماء النفس وعلماء الاجتماع . لكن ما قررته آية سورة الروم منذ أربعة عشر قرنا ،فاق كل تلتمس وتحدى كل فكر . فالآية الكريمة قررت غايات الزواج كي يظل الفكر الاسلامي معتمدا على الأصيل الثابت فلا يتأثر بالفكر المستورد البعيد الجانب لكل فضيلة وحتى لاتجرفه التيارات المريضة والتي تراكم عليها عفن الجاهلية والانحطاط .

والمرأة والرجل محتاجان الى تفهم آيات القرآن الكريم والتأمل في كنوز الاسلام التي تغرس في النفوس السمو والنبل . وتصقل الأفئدة بالتربية الصحيحة وان آية سورة الروم ومافيها من آيات لتدل فيما تدل على أن الانسانية مهما بلغ بها التقدم العلمي والرقي الفكري . فهي في أشد الحاجات الى الايمان بغايات الزواج في الاسلام . وسوف نسير مع غايات الزواج كما تهدي بذلك آية سورة الروم غاية غاية،لندرك سمو التشريع الاسلامي

ونتبين الطريق السليم ٠

أولا : قال تعالى : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا)

والأزواج جمع زوج ٠ والمراد به في الآية (المرأة) بقرينة عودة الضمير اليها موئنثا في قوله تعالى (لتسكنوا اليها) ومعنى هذا أن المرأة من الرجل وأن الرجل من المرأة وأنهما من جنس واحد ٠ وطبيعة واحدة هي الطبيعة الانسانية وأنه سبحانه خلق من هذا الجنس زوج المرأة ٠ كما خلق منه زوج الرجل ٠ ليسكن اليها وتسكن اليه ٠٠ مادامت المرأة والرجل من معدن واحد ٠

فخصائصهما وما به انسانيتهما واحدة وليس أحدهما أدخل في باب الانسانية من الاخر ٠ ولن يكون شيئا من الذكورة أو الأنوثة شافعا أو رافعا لأحدهما ومانعا أو خافضا للآخر في مجالات العمل والتكاليف وما يتبعهما من ثواب وعقاب ٠

قال تعالى في سورة النحل : (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو موئمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون) ٠

وقال الله تعالى في سورة آل عمران :

(فاستجاب لهم ربهم أني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثـــى بعضكم من بعض)

ومن حكمة الله أنه جعل المرأة من الرجل ، والرجل من المرأة وأنهما في الانسانية سواء ، فالمرأة ليست من جنس مرذول ، والمرأة ليست دون الرجل في الانسانية ، والمرأة ليست مخلوقا مطرودا من رحمة الله كما زعم دعاة المسيحية في القرن الخامس الميلادي .

والمرأة ليست وعاء للانتاج البشري كما يزعم دعاة الاشتراكية ، والمرأة ليست شرا لابد منه ووسوسة جميلة وآفة مرغوب فيها كما زعم الاوربيون ، وانما هي في الاسلام نصف المجتمع لها انسانيتها وفاعليتها وتأثيرها ولهذا السبب كان الرابط بين الزوجين هو الميثاق .

قال تعالى في سورة النساء : (وأخذن منكم ميثاقا غليظا)

والميثاق هو العهد المؤكد الذي يربط الزوج وزوجته .

والاية القرآنية (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) تشير ضمنيا الى أن هذا الميثاق احدى آيات الله الفطرية ..

جاء في المنار أن هذه آية من آيات الفطرة الالهية هي أقوى ما تعتمد عليه المرأة في تركه أبويها وأخواتها وسائر أهلها والرضا بالاتصال برجل غريب عنها تقاسمه السراء والضراء • فمن آيات الله تعالى في هذا الانسان أن تقبل المرأة الانفصال من أهلها للاتصال بالغريب تكون زوجا له • وتسكن اليه ويكون بينهما من المودة والرحمة أقوى من كل مايكون بين ذوي القربى فالمرأة لاتقدم على الزوجية وترضى أن تترك أنصارها وأحباءها لأجل زوجها الا وهي واثقة بأن تكون صلتها به أقوى من كل صلة وعيشتها معه أهنأ من كل عيشة • وهذا ميثاق فطري من أغلظ المواثيق وأشدها احكاما وانما يفقه هذا المعنى الانسان الذي يحس احساس الانسان •

ثانيا : ان السكون في الاية الكريمة (لتسكنوا اليها) من أروع الاساليب البلاغية التي تفي بالمقصود في عبارة موجزة مركزة والسكون أعم من أن يكون قاصرا على السكون الجنسي • فهو يشمل سكون النفس وارتياحها واطمئنانها • وسكون الجسد بالركون

الى شريك الحياة • وسكون الروح للعبادة والسمو فى ملكوت الله وسكون الاقتصاد بالتعاون المثمر فى بناء الاسرة •

قال صاحب المنار (أرشد الله البشرية الى أن للحياة الزوجية ثلاثة أركان وقد جمعت هذه الأركان فى قوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)

فالركن الاول : السكون النفسى الجنسى وهذا الركن خاص بالزوجين وهو تعبير بليغ عن شعور الشوق واللذة والحب الذى يجده كلّ منهما باتصالهما والملابسة بافضاء أحدهما الى الاخر وبه يزول أعظم اضطراب فطرى فى القلب والعقل •

والركن الثانى : المودة أى المحبة التى يظهر أثرها فى التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين وأسرة كل منهما •

والركن الثالث: الرحمة التى لاتكتمل للانسان الا بعواطف الامومة والابوة ورحمتهما لاولادهما • فيكون لكل البشر أو الاحياء حظ من هذه الرحمة الكاملة •

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان يقول (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها اطاعته وان نظر اليها سرته • وان أقسم عليها أبرته وان غاب عنها حفظته في نفسها وماله)

ومن هذا المنطلق الاسلامي ندرك أن الزوج والزوجة في حاجة الى الرباط النفسي أكثر من حاجتهما الى رباط الجسد • وفي حاجة الى السكينة الروحية حيث يجد كل منهما في الاخر الراعي والرفيق مهما تقدمت بهما السن أو خفت فيهما نداءات الرغبة • وحالت دونها الموانع •• ولا شك أن الزواج بما فيه من سكينة النفس وارتياح القلب • معين على العفة والحصانة الخلقية •

روى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج • ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) •

فالسكون النفسي • والسمو الروحي والارتياح القلبي والاطمئنان

النظرى والاحساس بالامن والامان والشعور بالسعادة والتعاون الثمر وتبادل المشورة والاستقرار • كل ذلك تضمه عبارة (لتسكنوا اليها) وعودة الضمير الى مؤنث في (اليها) يشعر بحاجة الرجل الى هذا السكون الوارف الظلال ويوحى بأهمية الزوجة في الحياة ومجيء عبارة (لتسكنوا) مرتبطة بواو الجماعة الدالة على الذكور يشير الى دور الرجال في السعي الى هذا السكون الذى هو من لوازم الحياة •

روى الامام أحمد والترمذى عن ثوبان أن النبي عليه الصلاة والسلام قال (ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا • ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته) •

وبهذا العمل البناء يكتسب الرجل كمالا أدبيا • وسموا أخلاقيا وفضائل تعلى من قدره •

ثالثا : والمودة تشير اليها الاية بقوله تعالى (وجعل بينكم مودة) والمودة المحبة وهى أمر يعم الزوجين وأسرتيهما وتبدو هذه الظاهرة كما يقول صاحب منهاج السنة في أن الزوج

لا يتعامل فقط مع زوجته . وانما مع أسرتها كذلك وتنشأ بينه وبينها صلات وعلاقات ودية . أو هكذا ينبغي أن يكون .

ولعل التعامل يدرك أن المودة تتحقق بين الزوج وزوجته وأسرتها في حالة البناء وتعمير البيت لان كلمة " بينكم " تفيد الاقتران والاقتران مدعاة للحب الصادق والمودة الصافية كما أن الفعل الماضي " جعل " في (وجعل بينكم مودة) يفيد أن المودة قد تنشأ من التعامل القائم بين الزوجين وهذا دافع لأن يحرص كل من الزوجين على ما هو أحسن وأفضل .

ولعل القارئ يدرك معي خطأ أولئك المخرفين الذين ينادون باختلاط الفتى والفتاة بعيدا عن العيون ليتم الانصهار في بوتقة الحب " كما يقولون " والحق أن الحب الذي يقوم بين الفتى والفتاة قبل الزواج بناء على الاختلاط . حب فاشل والذين يقيمون الزواج على هذا الاساس مخطئون الى حد كبير وليس معنى هذا أن لا تقوم مودة ومحبة قبل الزواج .

ولكن ليس من الضروري أن لا يتم الاقتران الا اذا كان قائما

على تبادل كلمات الحب ، والتى كثيرا ما تتم فى حالة هيجان عاطفى وبعيدا عن الرقابة ، وكثيرا ما يكون الحب قبل الزواج قائما على دافع غريزية ألهبها الاحساس بالحاجة ، وكثيرا ما يكون للمظاهر المصطنعة أثر فعال فى تأجيج نيرانه ،وكثيرا ما يكون غرض معين عامل أساسى ، وعندما يتم الاقتران تتكشف الحقائق ، فيتوارى الحب بعيدا وتنشأ أمور أخرى ، أما الحب الذى تفاعل بين الزوجين فى بيت الزوجية فهو حب قائم على الرؤية الصحيحة ولهذا كان آية من آيات الله يمتد حتى يشمل أسرتيهن ، باسطاً رقعة التعاون والتآزر ليعم مايتصل بالاسرتين من أقارب وأرحام وأصدقاء ٠

رابعا : قال تعالى (وجعل بينكم مودة ورحمة) والرحمة من الرحم والرحمة الرقة والتعاطف ، والرقة والتعاطف ينشئان بعد المودة والمحبة ، ولهذا كان قوله تعالى (وجعل بينكم مودة ورحمة) اعجازاً الهياً ،فى أسلوب مركز ،يوقظ أحاسيس من كان له قلب ٠٠ والرحمة التى جعلها الله تنشأ بالزواج ٠

تتم في بيت الزوجية وتنمو وتزداد بالثمرات التي اينعت من بنين وبنات • والرحمة التي تنشأ بالتراحم والتعاطف والحب•الرحمة بكل هذه المعاني تستكن في نفوس الوالدين نحو الاولاد • وتمتد الى أقارب الابناء من جهة الزوج والزوجة • ثم أقارب الاقارب وهكذا الى أن تنفد وهذه العواطف أساس التعامل في المجتمع الانساني • وتبدو أصول التهيئة واضحة في هذا الأصل فغراس الرحمة الذى نبت في ظلال زوجين وترعرع في بيت قائم على المودة • هذا الغرس الطاهر سلوك ترجوه يحس ويبصر ويسمع ويتذوق • وعلى هذا فالبيت عامل بيئي رئيسي يتلقى الطفل فيه أحسن المشاعر وينطبع بالطابع الذى يؤثر فيه • والرحمة بين الزوجين مدرسة تربوية متكاملة لصقل الانسان وتحليته بالفضائل ومكارم الاخلاق• والباسه حلى الادب لينشأ الانسان وقد عود على الرحمة والرفق والحنان • ومن لم يتدرب في البيت على هذا التعامل فليس أهلا لأن يكون انسانا • ولقد رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل الحسن بن علي فقال :

أن لي عشرة من الاولاد ما قبلت واحدا منهم . فقال عليه الصلاة والسلام : " إن من لا يرحم لا يرحم " (الحديث جاء في صحيح البخاري ومسلم والترمذي ومسند أحمد) ؛ ودخل أحد الولاة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فرآه يقبل طفلا ، فكأنما كان أمرا غريبا على بصره ثقيلا على نفسه لأنه لا يمارسه فأظهر دهشته واستغرابه فلم يلبث عمر أن عزله عن الولاية .

وهكذا تتجلى لنا الحكمة من الزواج في غايات نبيلة ترسمها آية واحدة من آيات الله . وختمت الآية بقوله تعالى (لقوم يتفكرون)لأن الفكر كما يقول الفيروزابادي : (يؤدي الى الوقوف على المعاني التي خلقت لها من التجانس وسكون كل واحد منهما الى الآخر).

وقد أفلح أولئك المفكرون الذين ارتضوا الثقافة الاسلامية لتكون لهم زادا وسلوكا ونظاما يهدي الى الرشاد وطريق الحق.

ان غايات الزواج في الاسلام مطلب حسن يحمل له أصحاب العقول العاقلة والقلوب الواعية .وستظل آية سورة الروم منبعا أصيلا لا ينضب له معين ، يفيض بالعطاء والسعادة .

اختيـار كل من الزوجين للآخر

قال تعالى (ولاتنكحوا المشركـات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركـة ولو أعجبتكـم ولاتنكحـوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبـد مؤمـن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياتـه للناس لعلهم يتذكـرون) (١)

وسئل الامام أحمد بن حنبل عن قول الله : ولاتنكحـــوا المشركات ٠٠ قال : مشركات العرب الذين يعبدون الأصنام ٠

وجاء في تفسير ابن كثير : نزلت هذه الاية في عبد الله بن رواحـة ٠٠ كانت له أمة سوداء فغضب عليها فلطمها ثم فـزع ٠ فأتى رسول اللـه صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرها ٠

فقال لـه : ماهي ؟

قال : تصـوم وتصلي وتحسن الوضوء وتشهد أن لااله الا اللـه وأنك رسـول اللـه ٠

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٢١

فقال: ياعبد الله • هذه مؤمنة •

فقال: والذى بعثك بالحق لاعتقنها ولاتزوجنها • ففعل • فطعن عليه طاعن من المسلمين•

وقالوا: نكح أمته • وكانوا يريدون أن ينكحوا الى المشركين وينكحوهم رغبة فى أحسابهم فأنزل الله (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم)(١)

فالايمان هو أساس السلوك السوى •وداعية الاستقرار النفسى وباعث الامل•

والايمان أساس لكل ما من شأنه أن يفضى الى الحياة المثلى • ولكل مايعتبر بالتالى عمادا للحياة الزوجية التى يرجى من غراسها أطيب الثمر• ومن ثمارها خير الأثر •

واختيار الزوج أو الزوجة عملية قيام علاقة إنسانية دائمة• ذات حدود وقيود •وغايات وأهداف ولا شىء كالايمان يقيم بناءها • ويحمى كيانها ويرعى شأنها(٢) •

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ١ ص ٢٥٨

(٢) منهاج السنة فى الزواج الدكتور محمد الأحمدى أبو النور

ولسنا بازاء علاقة حسية موقوتة ،حتى نبحث عن عوامل الاغراء ودوافع الانشاء .. أو يكون لشيء من الجمال أو المال أو الحسب أو السلطان وزن أو اعتبار . يضاف الى ذلك أنه ليس لمشرك شعور بالمسئولية ولاتقديس لقيم ،ولا رعاية لذمم . فما أهون شأن الحياة الزوجية لديه ،وما أيسر حل عقدتها ، والتهرب من عهدتها ،ويا لشقوة من كتب عليه أن يحيا معها تحت سقفها الواعي ؟

ومن وراء ذلك .. أن المشرك الذي أعجب المؤمنة بقوة جسمه ، أو علو نسبه أو عراقة حسبه أو رجاحة منظره، له أثر خطير على عقيدتها وتفكيرها ،وكذلك المشركة التي أعجبت المؤمن ، بما عسى أن يكون لها من قد ممشوق ونسب مرموق وجمال آسر،لها أسوأ الاثار على عقيدته وفكره .

ذلك أن الذي يفضل شخصا ، أو يؤثره بالاعجاب دون سواه، يعترف له وجدانيا بامتياز يحمله على أن يضفي عليه هالة اكبار وتقدير قد تصل الى مستوى التقديس .. وما يلبث حتى يتأثر به

شعوريا أو لا شعوريا أكثر مما يتأثر بغيره . فيحول طاقته في سبيل ارضائه وشيئا فشيئا يرى الدنيا بعينه . ويسمعها بأذنيه ويقدر أعجابه به يكون سعيه في الاقتراب منه . ويقدر قربه هذا يكون بعده عن قيمه .. واذا كان هذا التأثير على أحد الابوين .. فأى مدى يكون التأثير على الأبناء ؟ وفي أى واد يهيمون حين يحارون بين هذه القيم المتصارعة والعقائد المتباينة .(١)

عن أبى هريرة رضى الله عنه . عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " تنكح المرأة لاربع: لمالها . ولحسبها . ولجمالها ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك "(٢).

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : قيل: يارسول الله أى النساء خير ؟ قال: " التى تسره اذا نظر . وتطيعه اذا أمر

---

(١) منهج السنة فى الزواج . الدكتور محمد الاحمدى أبو النور ص٣٣٠ . ٣٣١

(٢) التاج حـ ٢ ص ٣١٤ .. رواه الخمسة .

ولاتخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره"(١) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة"(٢) .

وعن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما،قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لاتزوجوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لاموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة خرقاء(٣) سوداء ذات دين أفضل"(٤) .

ومن هذا ترى أن المرأة تنكح لخصال كثيرة: تنكح لجمالها ولمالها ولحسبها ونسبها ولخلقها ودينها .

---

(١) التاج حـ٢ ص ٣١٥، رواه أبو داود والترمذي والنسائي

(٢) الترغيب حـ ٣ ص ٤١ ، رواه مسلم والنسائي وابن ماجة .

(٣) خرقاء : مقتطعة الأطراف .

(٤) الترغيب حـ ٣ ص ٤٦ ، رواه ابن ماجة .

ولا يبقى من هذه الخصال الا الدين ، والخلق ، فان الجمال والمال تبيده الليالي والأيام ، والحسب والنسب لا قيمة له اذا لم يكن معه الخلق والدين ، فرجع الامر الى الخلق والدين ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : " فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك " (١) .

وعواقب الاختيار تختلف باختلاف الاختيار ودوافعه ، وقد صورتها السنة أروع التصوير وأبدعه ، وأبانت عن البون الشاسع بين عاقبتي : من تنكب القصد في الاختيار ، ومن أحسنه .

وأن الاول ينعكس عليه قصده لقاء أنانيته وطمعه ، واحتياله بغير حس وابتغاء القوة من غير مبتغاها .

وأن الثاني يحقق الله له طلبته ، ثم يحسن اليه فوق ما كان يتصور ويعطيه أربى مما كان يرغب ، جزاء إحسان القصد .

---

(١) ندوة المحاضرات ، موسم حج ١٣٨٩ هـ ص ١٤ محاضرة علوى مالكى والحديث رواه أحمد باسناد صحيح والبزار وابن حبان انظر الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٦٩ .

وصواب الاختيار (١) .

وقد روى أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : " من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا " .

ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقرا .

ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة .

ومن تزوج امرأة ، لم يرد بها الا أن يغض بصره ، ويحصن فرجه أو يصل رحمه ، بارك الله له فيها وبارك لها فيه (٢) .

وهل هناك منة فوق أن يوفق الله للمرء زوجه ، ويوفقه لزوجه ؟ وينمي لهما ثروتهما ، من التكيف ، والتوافق والسكينة والمودة ويبارك لكل منهما في الآخر ، بما للبركة من معنى خصيب ، وأفق رحيب .

والنبي صلى الله عليه وسلم صريحا في أمره ونهيه ، حين قال " لاتزوجوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يرديهن . ولا تزوجوهن لاموالهن ، فعسى أموالهن أن تطغيهن .

---

(١) منهاج السنة في الزواج : الدكتور محمد الاحمدي أبو النور ص ٣٦٦ .

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري جـ٣ ص ٧٠ والحديث رواه الطبراني في الأوسط .

ولكن تزوجوهن على الدين • ولأمة خرقاء ذات دين أفضل [(١)] •

وبذلك حذر من الزواج لاحدى الغايات المادية • المذكورة منها علة هذا التحذير • فالجميلة قد يوقعها جمالها في الفتنة الا من عصم الله بسياج العفة • والعزة • والفضيلة • وقليل من تكون كذلك •

والموسرة قد تدل بثروتها • فتطغى بشخصيتها على شخصية زوجها وتأخذ من سلطانه بقدر ما تنفعه بمالها •

وفي هذين الوصفين وما يترتب عليهما • مثل لكل من أراد أن يهدف الى الأمر المادي وحده [(٢)] فالدين أساس كل بناء في الحياة والزوجة لبنة في هذا البناء المثمر •

ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام " ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله • خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته • وإن نظر اليها سرته • وان أقسم عليها أبرته • وان غاب عنها نصحته في

---

(١) سبق الاشارة الى هذا الحديث الشريف •

(٢) منهج السنة في الزواج • الدكتور محمد الاحمدى أبو النور ص ٣٦٦ – ٣٦٨ بتصرف •

نفسها وماله" [١] .

وقال صلى الله عليه وسلم " من رزقه الله امرأة صالحة ، فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله في النصف الآخر " .

ولله در القائل :

ألا إن النساء خلقن شتى .. فمنهن الغنيمة والغرام

ومنهن الهلال اذا تجلى .. لصاحبه ومنهن الظلام

فمن يظفر بصالحهن يظفر .. ومن يخبن فليس له انتظام

وعن أبي حاتم المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد " .

قالوا : يارسول الله ، وان كان فيه ؟

قال : " اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه " ثلاث مرات [٢] .

---

(١) رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي حـ ٢ ص ١٦٢ ،

(٢) انظر: التاج الجامع للأصول حـ٢ ص ٣١٦ رواه الترمذى .

وعن سهل رضي الله عنه قال : مر رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما تقولون في هذا ؟

قالوا : حرى أن خطب أن ينكح ، وان شفع أن يشفع وان قال أن يُستَمَع ، ثم سكت .

فمر رجل من فقراء المسلمين .

فقال : ما تقولون في هذا ؟

قالوا : حرى أن خطب ألا ينكح ، وان شفع ألا يشفع ، وان قال ألا يستمع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا ". (١)

وهذه الاحاديث الشريفة جملة وتفصيلا صراحة وضمنا ، تشير الى ما ينبغي عند اختيار الزوجة واختيار الزوج .

فليست المادية مقياسا ينظر من خلاله الى الانسان وليس الحسب والنسب والجمال ميزانا يرجح كفة الاختيار .

---

(١) انظر: التاج جـ ٢ ص ٣١٦ رواه البخاري .

اذن : القياس الصحيح ، والميزان الصادق ، هو الدين والتقوى والصلاح .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : جاءت فتاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ان أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته . قال : فجعل الأمر اليها .

فقالت : قد أجزت ما صنع أبي . ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس الى الآباء من الأمر شيء (١) .

وهذا الحديث الشريف .. يعطي للفتاة حقها الطبيعي فليس من الاسلام أن يفتات عليها أحد .. أو تزوج قسرا ورغما عنها .

أن الزواج بناء أسرة .. وليس سجنا .

والزواج تعاون مثمر .

قال رجل للحسن : " أن لي بنية ، وأنها تخطب ، فمن أزوجها ؟

فقال : زوجها ممن يتق الله ، فان أحبها أكرمها ، وان أبغضها لم يظلمها (٢) .

---

(١) أخرجه ابن ماجة باسناد صحيح حـ ١ ص ٦٠٢

(٢) راجع عيون الأخبار لابن قتيبة حـ ٤ ص ١٧

فالزواج شرعه الله لغايات نبيلة ، ويجب أن تتوفر له الخبرة والكفاءة العلمية ، والقدرة على تحمل أعباء أسرة .

وأمر الاسرة لايبنى على التكافؤ المادى ، وانما يبنى على التعاطف الوجدانى والميل القلبى . والهوى والحب بين كل من الزوجين فهذا هو أساس ما سيكون بينهما من سكون نفسى ، وجنسى وما سيظلل حياتهما بعد ذلك من مودة ورحمة .(١)

ولعلنا ندرك أن الزواج فى الاسلام شركة كبرى ، تقوم على التعاون والتوادد والمشورة ، وفى الوقت نفسه مدرسة تربوية ، يكون فيها الزوج والزوجة قدوة لغيرهما ، فى السلوك والعمل .

---

(١) منهج السنة فى الزواج ، الدكتور محمد الاحمدى أبو النور ص ١٤٢ .

أهداف الزواج في الاسلام :

ما الامة الا مجموعة من الأسر تترابط فيما بينها بمبادئ وقوانين وأعراف وتقاليد تتفاوت آثارها بين الأمم تبعا لتفاوتها في درجات المعرفة والثقافة وكلما كان الاساس قويا كلما كان ذلك أدعى لتماسك البناء وصلاحيته للبقاء .

وكلما كانت الاسرة قوية قائمة على الاسس الصحيحة كلما كان المجتمع قويا . واللبنة الاولى في بناء أي مجتمع . هي الاسرة فاذا كانت هذه اللبنة مفككة منهارة . فلابد أن يكون المجتمع مفككا منهارا .

واذا كانت هذه الاسرة صلبة متماسكة . فلابد أن يكون المجتمع المتكون منها صلبا متماسكا كذلك .

ولما كان الاسلام الحنيف . يعمل على تكوين المجتمع الاسلامي القوى . فقد حرص على تدعيم اللبنة الاولى في البنيان الاجتماعي وهي الأسرة . وعمل على اسعادها وعلى تقويتها .

وفي هذا الصدد جاء بالمبادئ والقوانين التي تعمل

على أحكام العلاقات والروابط داخل الأسرة • وعلى تقويتها وحفظها من الضعف والانهيار • وأوجب على المجتمع أن ينفذ هذه المبادئ والقوانين •

قال الله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة • ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم (١))

ففي مجال العلاقة بين الزوجين يحرص الاسلام على أن تكون هذه العلاقة أقوى ما تكون •

ولهذا كان الزواج في الاسلام مؤسسة اجتماعية دينية يدخل فيها الرجل والمرأة قصدا لتحقيق مصالح مشتركة بين الطرفين • وأهم هذه المصالح بالنسبة للزوجين هي توفير وضع اجتماعي يتمتع فيه الطرفان بثمرات المودة والمحبة وارضاء النزعات الطبيعية للانسان بصورة كريمة مستقرة •

---

(١) سورة التوبة آية : ٧١

كما يرضيان الغريزة الوالدية التى تتطلع دائما الى الاولاد ، وتدفع الى العناية بهم وتوفير أسباب النمو والازدهار لهم .

وبالنسبة للأولاد فالأسرة "الزوج والزوجة" البيئة الطبيعية الضرورية لوجودهم وحصولهم على أسباب النمو العقلى والجسمى ، والرقى ، والوعى الثقافى . ولاشك أن أوضاع الأسرة الاسلامية قد أخذت الطابع الأصيل الذى يجعلها خير وسيلة لأغراض الاسرة ومهمتها فى المجتمع .

ولهذا كان الزواج فى الاسلام (ميثاقا غليظا) وعهدا متينا ربط الله به بين (رجل وامرأة) وأصبح كلاهما يسمى زوجا ، بعد أن كان فردا .

قال الله تعالى (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وأتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا) (١)

---

(١) سورة النساء آية : ٢٠ ، ٢١

والذى يتتبع كلمة " ميثاق " ومواضعها التى وردة فيها ،
لا يكاد يجدها تأخذ مكانها فى التعبير القرآنى الا حيث يأمر
الله بعبادته وتوحيده ، والأخذ بشرائعه وأحكامه .

ويستطيع الباحث والمتتبع لكلمة " ميثاق " وقد جاءت
فى شأن الزواج أن يدرك المكانة السامية التى وضع الله
الزواج فيها (١) .

قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا
لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم
يتفكرون) (٢) .

وهذا الميثاق الذى ربط الله به بين الزوجين ، أقيم
على ركائز من التعارف ، والمودة ، والرحمة والعفة والكرامة ،
والصيانة .

وهذا هو الزواج الانسانى فى وضعه الصحيح من جهة الأفراد

---

(١) الاسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الشيخ شلتوت ص ١٣٦ مطبعة الأزهر .

(٢) سورة الروم آية : ٢١

وجهــة المجتمع • فهو استقرار وسكن نفســانى من جهة الافــراد
وواجب اجتماعــى من جهــة المجتمع •
وسبيل مودة ورحمــة بين الرجل والمــرأة •

وفضــيلة هذه العلاقــة بين الرجل والمــرأة • أنها علاقــة
" سكن " تستريــح فيها النفوس الى النفوس • وتتصل بها المودة
والرحمــة والمشاركــة القلبيــة والوجــدانية •

ومن ثم يراد الزواج : لتهذيب النفس الانسانية واستـــزادة
ثروتها من الرحم والرحمــة • ومن العطف والسمو • ومن مساجلـــة
الشعور بين الجنسين بما ركــب فيهما من تنــوع الاحسان • وتنوع
القــدرة على الايناس والحــب • ولهذه الركائز • راعى الاســلام
أن تؤسس الاسرة منذ البداية على الرغبــة والرضا والاختيار •

فوضــع عناصر أصيلة لبناء الأســرة السليمــة وتكاملهــا فى
المجتمع الاسلامى • وهذه العناصر اذا روعيــت • كانت قوة للأسرة
الاسلامية • وتدعيمــا ونجاحا • ووصلــت الاسرة المسلمــة الــى
ذروة ما قــدر من الاستقرار والأمــن •

وهذه العناصر تجدها في الترغيب في الزواج والاهتمام بحسن اختيار كل من الزوجين للآخر وحقوق الزوجة على زوجها وحقوق الزوج على زوجته ومكانة الزوج بالنسبة لزوجته . والحقوق المشتركة بين الزوجين . وعلاج ما يحدث بين الزوجين من خلاف . الى غير ذلك من مبادئ تبين مزايا الاسلام وتشريعه الخالد في حفظ الاسرة ووضع المرأة في مكانها اللائق بها . حتى لا تتعرض للابتذال والارتخاص والميوعة . والانحلال حتى لاتكون في وضع الطريد .

الترغيب في الزواج :

قال الله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب) (١) .

قال ابن كثير في التعليق على هذه الآية : يقول الله : (وكما أرسلناك يا محمد رسولا بشريا ، كذلك بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق ويأتون الزوجات ويولد لهم ، وجعلنا لهم أزواجا وذرية (٢) .

وقال تعالى (وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) (٣) .

وقال تعالى (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) (٤)

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٨

(٢) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٥١٨ ط الحلبي .

(٣) سورة النساء آية : ٣ (٤) سورة النور آية : ٣٢

وعن أنس رضى الله عنه قال: جاء ثلاث رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها .

فقالوا: وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ماتقدم ذ نبه وما تأخر .

فقال أحدهم: أما أنا فانى أصلى الليل أبدا .

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر .

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم وأتقاكم له ،لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى) رواه البخارى والنسائى (١) .

وعن أيوب رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " أربع من سنن المرسلين : الحياء ، والتعطر ،والسواك ،والنكاح " (٢)

---

(١) التاج جـ ٢ ص ٣١٠

(٢) فيض القدير جـ ١ ص ٤٦٥ .

وعن أنس رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قـال :
" حبب الى من الدنيا النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة " (١)

والاسـلام بهذه النصوص الصريحـة يعرب عن وضوح دعوتـه الى الزواج والترغيب فيه فترتبط المرأة والرجل برباط يتم عن طريق زواج شرعى وعقد صحيح تترتب عليه التزامـات من كلا الطرفين .

والاسلام الحنيف بهذا الادب ، يتسامى بالمجتمع ويصعد بـه الى مراقى الاطمئنان إذ الاسلام لا يعترف بالامومة غير الشرعية لأنـه لا يريد أن تشيع فى المجتمع الاسلامى، اذ بانتشارها تختلط الأنسـاب من جانب وتضيع الالتزامات الشرعية التى على الرجـل قبل الولـد وأمه من جانب آخـر .

والمجتمع حينئذ لا يستطيع أن يتكفل بهذه الالتزامـات نيابـة عن الآباء المجهوليـن .

ومن هذا يتضح أن الاسلام ينظر الى المجتمع الاسلامى ، نظرة انسانية فيها من الشرف والكرامة والاباء والشمم ، ما يملأ الجوانـب

---

(١) التاج جـ ٢ ص ٣١١

أمنا وطمأنينـة .

ينظر الاسلام الى المجتمع على أنه وحدة متفاعلة متجاوبـة متعاونـة على أساس من الدين والخلق والمودة .

وليس المجتمع فى نظر الاسلام مركبا تركيبا ماديا صرفا . بل هناك من القيم الانسانية الهادفة ماهو كفيل بسعادة المجتمع .

وان أهداف الاسلام من الزواج نجدها :

أولا : فى بقاء النوع الإنسانى وتقوية الروابط فى المجتمع .

ثانيا : فى التسامى بالغريزة النوعية .

ثالثا : فى تحديد المسئولية بالنسبة لتربية الأولاد .

رابعا : فى الاستقرار النفسى والتجاوب العاطفى .

والواقع أن بقاء النوع الانسانى وتقوية الروابط بين أبناء المجتمع الاسلامى من أهم أهداف الزواج فى شريعة الاسلام .

وبقاء النوع الانسانى والحفاظ على تجدد الدماء فيه مطلب اقتضته الحياة وهدف من أهداف الزواج وغاية يسعى اليها العقلاء .

قال تعالى (وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان

ربك قديرا) (١)

فالله سبحانه وتعالى خلق الانسان من نطفة ضعيفة فسواه وعدله وجعله كامل الخلقة ذكرا وأنثى كما يشاء فجعله نسبا وصهرا ، فهو في ابتداء أمره ولد نسيبا ثم يتزوج فيصير صهرا ، ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات وكل ذلك من ماء وطين (٢) .

وقال تعالى " والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين اجعلنا للمتقين اماما) (٣) .

يعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده (٤) .

وقال تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا) (٥)

---

(١) سورة الفرقان آية : ٥٤

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ح٣ ص ٣٢٢

(٣) سورة الفرقان آية : ٧٤

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ح ٣ص ٣٢٩

(٥) سورة النساء آية : ١

وقال تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات) (١)

يذكر الله تعالى نعمه على عبيده ، بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم وشكلهم . ولو جعل الازواج من نوع آخر . ماحصل الائتلاف والمودة والرحمة ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورا واناثا . وجعل الاناث أزواجا للذكور . ثم ذكر الله تعالى أنه جعل من الأزواج البنين والحفدة وهم أولاد البنين .

قال ابن عباس وعكرمة وغيرهما ، وقال ابن جبير عن ابن عباس " بنين وحفدة " وهم الولد . وولد الولد .

وقال أيضا عن عكرمة : بنوك حيث يحفدونك ، ويرفدونك ، ويخدمونك . (٢)

وقال تعالى حكاية لدعوة زكريا عليه السلام : ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب أني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث

---

(١) سورة النحل آية : ٧٢

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٣ ص ٥٥٧

من آل يعقوب واجعله رب رضيا) (١)

وفي آيات أخرى (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين) (٢)

فزكريا سأل الله ولدا يكون نبيا من بعده ، ليس من الناس بنبوته وذلك أنه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفا سيئا (٣) .

وقد روي عن حفصة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لايدع أحدكم طلب الولد ، فإن الرجل اذا مات وليس له ولد انقطع اسمه " (٤) .

ولا شك أن كل مولود يأتي الى هذا الوجود من البنين والبنات يضيف لبنة جديدة في صرح الحياة ، ويسهم في صون التراث والمقدسات

---

(١) سورة مريم : ٣ - ٦ ، (٢) سورة النساء : ٣٨،٣٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣

(٤) مجمع الزوائد ج ٤ ص ٨ ، عن الطبراني .

الانسانية من غوائل الايام وصوارف الزمن ، فهو عماد الأمة وركيزة نهضتها ، وحافظ تقاليدها وحارس قيمها ، ومجدد نسيجها ، والذائد عن حياضها [1] .

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أصبت امرأة ذات جمال ، وحسب ، وانها لا تلد ، أفأتزوجها ؟

قال : لا

ثم أتاه الثانية ، فنهاه ،

ثم أتاه الثالثة :

فقال : تزوجوا الولود الودود فإنى مكاثر بكم الأمم [2] .

وفى هذا ايماء الى ما به بقاء النوع ، وتكاثر الأمة ، ودعوة الى ما يحقق للأمة قوتها .

والامة الاسلامية فى أشد الحاجة الى وعى هذه المعانى الهادفة

وعن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(۱) منهج السنة فى الزواج ص ۹۳

(۲) التاج حـ ۲ ص ۳۱۵ رواه أبو داود والنسائى والحاكم وصححه .

يأمر بالباءة ، وينهى عن التبتل نهيا شديدا • ويقول " تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة " (١) •

وقد تنوع حديث النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك • فقد ينهى صلى الله عليه وسلم صراحة عن الزواج بامرأة من شأنها أن لا تلد • لكبر سن أو نحوه • وقد يأمر بالزواج من الولود ، دون أن يرشد الى نوع معين من النساء يكون مظنة لذلك اعتمادا على علم المخاطب به ، أو تنبيهه له • وقد يرشد عليه السلام الى نوع معين من النساء يكون مظنة لذلك ، كما في ندبه الى الزواج من البكر ، قال صلى الله عليه وسلم " عليكم بالجواري الشباب ، فانهن أطيب أفواها وأعذب أخلاقا وأفتح أرحاما • ألم تعلموا أني مكاثر " (٢) •

وكما في حديث عويم بن ساعدة الانصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " عليكم بالابكار فانهن أعذب أفواها ، وأنتق أرحاما وأرضى باليسير " (٣) •

---

(١) رواه سعيد بن منصور وأحمد والطبراني والبيهقي وابن حبان •

(٢) السنن ج ٣ ص ١٢٨ ، رواه سعيد بن منصور من طريق داود بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن مكحول •

(٣) منهج السنة في الزواج ص ٩٤ •

ولا يذهبن ذاهب الى أن السنة قد غالت فى اعتبار النسل احدى الغايات الكبرى التى ينبغى أن يهدف اليها بالزواج . فان الغاية تأخذ أهميتها بقدر ما يكون لها من أثر في هذه الحياة (١) .

وواقع الامة الاسلامية والعالم العربي يبين فى وضوح حاجتنا الى الزواج المشروع والنسل الكثير .

وتكالب الاستعمار القديم والحديث منه على امتصاص الخيرات ونهب الثروات . دليل لدى على خطورة التقليل من النسل .

يضاف الى ذلك غرس جسم بشرى غريب يفصل العرب والمسلمين فى أفريقيا عن العرب والمسلمين فى آسيا .

وهذا الجسم البشرى الغريب هو اسرائيل فقد عملت الدول الكبرى على زرعه لينمو فى أرض اسلامية . وتهديد الدول الكبرى بالاستيلاء على منابع البترول فى العالم العربى . يضيف دليلا آخر على أن دعوة تنظيم النسل . دعوة وراءها قوى وامكانيات .

والتكالب المسعور على دول الخليج الاسلامى (١) يدل على أن هناك

(١) منهج السنة فى الزواج ص ٩٤-٩٥

(٢) التعبير بالخليج الاسلامى قد يكون مقبولا لدى الخليج العربى والخليج الفارسى وهو أحسن من التعابير القومية التى أوجدها الاستعمار .

فراغا ، تتسابق الدول على احتلال الكثير من مواقعه .

ولعلنا من هذا ندرك أهمية النسل في حياتنا الاسلامية .

فنحن لسنا في حاجة الى تنظيم النسل أو تحديده أو التقليل منه وانما نحن في حاجة الى نسل يملأ الدنيا وينتفع بخيرات بلادنا وأموال بترول أرضنا .

ان النسل في هذه الفترة الصحية هو أفضل طريق يساهم على ادراك المجد .

ولعلك تعرف أن مؤتمرا دوليا عقد في رومانيا في شهر أغسطس سنة ١٩٧٨ لبحث موضوع تحديد النسل في البلاد الاسلامية*.

وقد يتساءل الانسان : وما دخل هذه الدول في أمور الامة الاسلامية ؟

ولكن الحقيقة أن هذا يفضح أساليب السياسة التي رسمها أعداء الاسلام لأمة الاسلام .

ومما يؤلم النفس ، أن كثيرا من العرب قد انخدع بنظريات الاقتصاد ،التي طرحها الاعداء للتداول في الفكر العربي ، وكانت تتضمن هذه النظريات خطورة المجاعات التي ستحل بالمسلمين اذا استمروا في الازدياد هذا في الوقت الذي تجد فيه غير المسلمين

ممن يعيشون في البلاد الاسلامية يزيدون من نسلهم بشتى الاساليب.

وقد تخدر كثير من أساتذة الجامعات بهذا الفكر المستورد.
وكان من نتيجة ذلك وضع الكتب والمذكرات والمحاضرات التي تصور مجتمعاتنا بأنها قاب قوسين أو أدنى من الجوع المدمر. وفات هؤلاء المخرفين الذين تراكم عليهم عفن الجاهلية والجهل، فاتهم أن البلاد الاسلامية تتفجر بينابيع الخير وطاقات الحيوية. وفاتهم أن الطبيعة لازالت تكمن فيها الجواهر واللآلئ.
وفاتهم أن من حكمة الله أن جعل أكثر مساحة الكرة الارضية محيطات فيها من النعم مافيها.

بعد هذا ننتقل الى الهدف الثاني من أهداف الزواج في الاسلام، فنرى أن المجتمع الطبيعي هو الذي يقوم على أساس من الفطرة ويدرك أحكامها ومقتضياتها.

ولا ينبغي أن يفهم من هذا أن المجتمع الطبيعي هو الذي يطلق لنفسه العنان، فلا يتقيد، ولا يحاول أن يهذب جموح الغريزة ويرد ما عسى أن يكون لها من شطط. لاينبغي أن يفهم هذا.

لأن الاسترسال في وضع من الاوضاع دون كبح أو تهذيب ، لابد أن يعكس هذا الوضع في النهاية ، فكان لابد من تهذيب الغرائز ، والتسامي بها حتى لاتندفع والغرائز من طبيعتها تأبى أن تقسام أو تكبت ، ويفرض عليها ما لايلائمها ، فكان لابد في الاسلام من تهذيبها والسمو بها ، بل لعل ذلك من مزايا الاسلام اذ أنه يدرك هذه الامور حق الادراك ولهذا كان من أهداف الزواج في الاسلام التسامي بالغريزة النوعية .

ويجد الانسان في الزواج اشباعا للنزوع الوجداني واحساسا بمشاعر الغبطة والحنو ، وحاجة الى الامن والسكن والاستقرار والانس والراحة .

والجنس غريزة فطرية لا مهرب منها ، ولا قوة تكبتها .

وطريق الجنس بعيدا عن الزواج يثير مشاعر شتى من الندم والخجل وتأنيب الضمير ، ويحدث في النفس صراعا مريرا ، كما يتسبب في كثير من الأمراض النفسية الخبيثة .

يضاف الى هذا ، الانحطاط والاباحية ، لهذا كان الزواج

فضيلة كبرى . وقد نظمه الاسلام ليقوم على ركائز قوية .

وأمر الاسلام بالحفاظ والاستملاء . فقال تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين) (١)

وقد دلت الآية على تعليق فلاح العبد على حفظ فرجه . وتضمنت هذه الآية وما بعدها ثلاثة أمور : من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين . وأنه من الملومين ومن العادين . ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم .

فمقاساة ألم الشهوة ومعاناتها أيسر من بعض ذلك . وقد أمر الله نبيه أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم . وحفظ فروجهم . وأن يعلمهم أنه مشاهد لاعمالهم مطلع عليها . يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور . ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الأمر بغضه مقدما على حفظ الفرج . فان الحوادث مبدؤها من النظر . كما أن معظم النار من مستصغر الشرر (٢) .

---

(١) سورة المؤمنون الآيتان : ٥، ٦

(٢) تفسير القاسمي ج ١٢ ص ٤٣٨٨

ولله در القائل:

كل الحوادث مبدأها من النظر .. ومعظم النار من مستصغر الشرر

والمرء مادام ذا عين يقلبها .. في أعين الغيد موقوف على الخطر

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها .. فعل السهام بلا قوس ولا وتر

يسر مقلته ماضر مهجته .. لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

ويقول القاسمي: تكون نظرة • ثم تكون خطرة • ثم خطيئة

ولهذا قيل: من حفظ هذه الاربعة حرز دينه: اللحظات •والخطرات واللفظات والخطوات • فينبغي للعبد أن يكون بواب نفسه على هذه الأبواب الاربعة ويلازم الرباط على ثغورها فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار ويتبروا ما علوا تتبيرا (١) •

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة (٢) فليتزوج • فانه أغض للبصر وأحصن للفرج •ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء (٣) " •

---

(١) تفسير القاسمي جـ ١٢ ص ٤٣٨٨

(٢) الباءة: النكاح ونفقات الزوجية •

(٣) الوجاء: القاطع لفوران الشهوة • انظر الحديث في التاج جـ ٢

وعن أبي أيوب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ثلاثة حق على الله عونهم : المكاتب الذي يريد الاداء ، والناكح الذي يريد العفاف ، والمجاهد في سبيل الله " (١).

وعن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر (٢) دينه ، فليتق الله في الشطر الثاني " (٣).

وفي رواية البيهقي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين ، فليتق الله في النصف الباقي " (٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مسكين ، مسكين ، مسكين : رجل ليست له امرأة " .

قالوا يارسول الله ، وان كان غنيا من المال .

---

(١) رواه الترمذي والنسائي والحاكم التاج ج ٢ ص ٣١
(٢) شطر : نصف .
(٣) رواه الطبراني الاوسط والحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(٤) الترغيب : الجزء الثالث ص ٤٢

قال: وان كان غنيا من المـال.

وقال: مسكينة مسكينة مسكينة. امرأة ليس لها زوج.

قالوا: يارسول الله. وان كانت غنيـة من المال؟

قال: وان كانت غنيـة من المال".

ومن هذه المفاهيم.. ندرك أهمية الزواج. وقدرته على السمو بالانسان. وقد أولت السنة هذه الناحية اهتماما بالغا. ذلـك ليكون الانسان انسانا.

والاسلام الحنيف يسمو بالغرائز. ويعرج بها في معارج عليا.. ومن أجل التسامي بالغريزة حرم الاسلام جلوس الناس في الطرقـات تفاديا من أن تمتد عين الجالس الى الأجنبيات. قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم "اياكم والجلوس في الطرقات. قالوا: مالنـا بد من الجلوس فيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "فاذا أبيتم الا المجلس. فاعطـوا الطريق حقها. قالوا: وما حق الطريق يارسول الله؟ قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام. والامـر بالمعروف والنهى عن المنكـر".

ومن أجل التسامي بالغريزة حرم الاسلام الخلو بالمرأة الاجنبية لما يترتب على الاختلاط بها من نزعات الشيطان . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لايخلون أحدكم بامرأة الا مع ذي محرم" (١) .

ومن أجل التسامي أيضا نهى الاسلام عن سفر المرأة وحدها أو مع ذي محرم منها . وذلك خوفا على عفافها وكرامتها . وصيانة لها . قال رجل: يارسول الله اني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وامرأتي تريد الحج . فقال : " أخرج معها" (٢) .

فياحبذا لو اننا تتبعنا أسرار التشريع الاسلامي . واتبعنا تلك الارشادات وتمسكنا بآداب الاسلام وسلكنا طريق الحق . أننا ان فعلنا ذلك . تقدمنا ولكان لنا من وراء ذلك خير كثير

ومن أهداف الزواج في الاسلام : تحديد المسئولية بالنسبة لتربية البنين والبنات .

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة" .

---

(١) رواه البخاري

(٢) رواه البخاري

قال ابن عباس فى معنى الآية : اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصى الله وأمروا أهليكم بالذكر، ينجيكم الله من النار .

وقال قتادة : تأمرهم بطاعة الله، وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله ، وتأمرهم به، وتساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية زجرتهم عنها .

ذكر القشيرى أن عمر رضى الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية قال: يارسول الله نقى أنفسنا ، فكيف لنا بأهلينا ؟

فقال: " تنهونهم عما نهاكم الله ، وتأمرونهم بما أمر الله"

وقال مقاتل :ذلك حق عليه فى نفسه، وولده، وأهله فعلينا نعلم أولادنا ، وأهلينا : الدين والخير، ومالا يستغنى عنه من الأدب وقال تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لاتكلف نفس الا وسعها لاتضار والدة بولدها ولامولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك " .

وعن ابن عمر رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . والامير راع . والرجل راع على أهل بيته . والمرأة راعية على بيت زوجها وولده . فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم " .

ولعل أهم جوانب هذا النمو .. هو النمو الاجتماعي . فالطفل ينمو بالتفاعل مع غيره من أب وأم واخوة وخدم وزملاء .. وهو ينمو بالاخذ والعطاء والقبول والاعداء والقيادة والاقتداء . والخضوع والاعتداد . وكلما ازداد تفاعل الطفل مع غيره .. ازداد فهما لمن حوله وفهما لنفسه . وازدادت كفايته في التعامل مع الغير .(١)

والنمو عملية تكيف مستمرة .. فالرضيع يجاهد ليتكيف لمطالب بيئته الجديدة .. فيتكيف الدفء والبرد . وللجوع والوجبات الموقوتة كما يتكيف لرغبات الكبار الذين يعتمد عليهم . ولمشكلاتهم وأهوائهم .(٢)

---

(١) من مقدمة كتاب (التكيف الاجتماعي للاطفال) ص ٨ للدكتور عبد العزيز القوصي . سلسلة دراسات سيكولوجية رقم ١٧

(٢) التكيف الاجتماعي للاطفال : تأليف بول هـ . لانديس ص ٢٣ ترجمة السيد محمد عثمان .

فالنمو عملية طبيعية • وكذلك محاولة المرء المستمرة لتحقيق الملاءمة • وتحقيق الشعور بأنه كامل في ذاته وفي علاقاته مع الاخرين على السواء • (١)

ففي البيت تتهيأ للطفل البيئة الاولى التي ينمو فيها • فأبواه هما أول من يعرف من البشر • • الأمر الذي يدعونا الى التساؤل عن أثر الجو المنزلي في نفس الطفل •

هل تسود المحبة والحنان على الدوام ؟

هل تبدو على من بسه روح الود المتبادل ؟

هل وراء المحبة والحنان مايدعمها من استقرار وأمن ؟

هل تسود البيت روح عدم الاكتراث بالطفل وتجاهل رغباته ؟

هل الرعاية والحنان متيسران أحيانا منعدمان أحيانا أخرى ؟

هل هناك مشاحنات وشجار دائم ؟

هل يبدو على الأبوين أحيانا مايدل على أنهما يبغضان وجود الطفل ؟ ويستطيع الأطفال أن يحسوا هذه الأمور وقد لايعرف الطفل معناها أو أسبابها • • ولكنه اذا كان محبوبا مرغوبا فيه

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤

يعيش في جو يسوده الهدوء والمحبة . فقد سنحت له فرصة ذهبية لتحقيق التكيف الصحيح .. فهو يستطيع أن يعبر عن حاجاته . وهو واثق من أنها سوف تلقى من والديه عناية واهتماما . لأنهما يرغبان في وجوده ويحبانه .. وسوف تكون استجاباته متسمة بطابع الحب والاهتمام نحوهما . ونحو الاخرين في نهاية الأمر (١) .

والقيم التي يكتسبها الطفل في أثناء سيره نحو النضج انما هي نتيجة لمؤثرات عدة . تتمثل في البيت والمدرسة والاصدقاء والمجتمع . وتأثير البيت هو أقوى هذه التأثيرات جميعا .

وحتى عندما يكبر وتنمو عنده القدرة على التفكير النقدى . واتخاذ القرارات في كثير من الامور التي تعنى له .. فان المبادئ التي سارت عليها تربيته الأولى ستؤثر في سلوكه (٢) .

ولهذا كله نذكر ونعى ما جاء عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .. فالامير راع وهو مسئول عن رعيته .. والرجل راع على أهل

---

(١) التكيف الاجتماعي للاطفال ص ٣٨،٣٧ الطبعة الثانية مؤسسة فرنكلين . نيويورك . القاهرة .

(٢) المصدر نفسه .

بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهي مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته" (١) .

ومن هذا الحديث تبدو مسئولية الزوج ومسئولية الزوجة .

وتحديد المسئولية الملقاة عليهما ، يدل على رسالتهما ، وفعاليتهما ، وايجابيتهما .. عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم" (٢) .

وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " مانحل (٣) والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن" (٤) .

فالزوج مسئول مسئولية تامة عن أفراد الأسرة .

والزوجة مسئولة مسئولية ايجابية في القيام بشئون البيت .

ومسئولية الاثنين مسئولية تربوية هادفة تبني وتنشئ وتساهم .

---

(١) الحديث رواه مسلم وفي حديث مثله في رياض الصالحين للنووي ص١٤٤

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري ج٣ ص ٧٢ ، رواه ابن ماجة .

(٣) نحل : أعطى ووهب .

(٤) الترغيب والترهيب ج ٣ ص٧٢ رواه الترمذي .

والطريق الامثل في التربية هو تقديم القدوة الصالحة من جانب الأم والأب .. ثم الأخذ في تعليم الدين بالطرق التي تلائم مراحل حياة الناشئين وتعتمد في أداء مهمتها على الكتاب الكريم والسنة النبوية .وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والقصص الديني وحياة أبطال وشباب الاسلام .

قال الله تعالى (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطرة . فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" .

فنفس الطفل في بدء الأمر قابلة لان تنقش فيها الاخلاق الكريمة . ومثلها كمثل المرآة المصقولة تنطبع فيها الصور الحسنة بكمالها وتمامها . وبعبارة قد تكون أقرب: نفس الطفل كالصحيفة البيضاء للمربي يمكن أن ينقش فيها مايشاء .

قال صالح بن عبد القدوس :

وان من أدبته في الصبا .. كالعود يسقى الماء في غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا .. بعد الذي أبصرت من يبسه

ولهذا كانت الحياة الزوجية حقلا تربويا خصبا ، لتخريج الأجيال الناشئة وهي أقدر على أداء الرسالة الاسلامية ، وافادة المجتمع ، بما يضمن الأمن والاطمئنان .

وننتقل بعد ذلك بالقارئ المسلم والقارئة المسلمة الى هدف آخر من أهداف الزواج في الاسلام :

عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع " .

ومن هذا المدلول الحسي .. ندرك أن العبادات في الاسلام مدرسة تربوية متكاملة لصقل الاولاد ، والناس جميعا ، وتحليتهم بمكارم الاخلاق .

ولما كانت الصلاة عماد الاسلام ونموذجا من نماذج التربية الحقة ، بكر التشريع بالتدريب عليها قبل البلوغ . (١)

---

(١) انظر: ندوة المحاضرات موسم حج ١٣٩١هـ ص ١٩ رابطة العالم الاسلامي - مكة المكرمة .

ذكر القشيري أن عمر رضى الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية " يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا " - يارسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا ؟

فقال : تنهونهم عما نهاكم الله، وتأمرونهم بما أمر الله .

وقال مقاتل " ذلك حق عليه في نفسه وولده وأهله وعبيده وامائه .

فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الأدب . (١)

والطفل منذ مولده، يتلقى مؤثرات مختلفة مستمرة من الوسط الذي يعيش فيه ومن أبويه واخوته وزملائه في المدرسة وأساتذته وغيرهم من الذين يختلط بهم وانه دائم التأثر بذلك .

والزواج من هنا : كان شركة بين هذين الانسانين، بل بين هاتين الانسانيتين .. رأس مال هذه الشركة: الحب والوفاء والايثار والرعاية والصيانة والعفة والصدق والثقة .

---

(١) تفسير القرطبي : الجزء الثامن عشر ص ١٩٥ بتصرف .

وهدف هذه الشركة : السكون النفسي ، والاستقرار العاطفي وقيام كل منهما بواجب المسئولية الاسرية والاجتماعية ..

وشعار هذه الشركة : التعاون في سبيل التربية الصادقة والعمل لخيرى الدنيا والآخرة ، ومعاونة الأمة الاسلامية في تقدمها وفلاحها .

الفصل الرابع
القوامة في الأسرة
مفهومها وأهميتها

" القوامة "

لابد لكل مجتمع من المجتمعات الانسانية من رئيس يدبر الشئون ويرعى المصالح ، ويتولى الأمور بالرعاية والتوجيه .

والاسرة هي المجتمع الصغير الذي يتكون منه المجتمع الانساني الكبير ، وبما أن الاسرة مجتمع ، فهي في أشد الحاجة الى قائد ، يصرف الامور بالحكمة والموعظة الحسنة ويقود هذا المجتمع الصغير الى شاطئ الامن ومرفأ السلام ، ويساعد في بناء وتوطيد دعائم المجتمع الكبير .

ولئن كان القرآن الكريم قد سوى بين الزوجين في الحقوق والواجبات فلا ينبغي أن نفهم منه انطلاقاً من هذه المساواة :-
- المساواة المطلقة التي تتعدى حدود القدرة والامكانيات ،

فالمساواة في الحقوق والواجبات في حدود طاقة كل منهما ، وامكانياته الجسدية والروحية .

وفي سبيل تحقيق هذه المساواة ، في حدود الطاقة كانت الدرجة التي فضل الله بها الرجال على النساء ، في قوله تعالى

(وللرجال عليهن درجة) . والاسلام الحنيف في اعطائه الرجل الحق . في القوامة على الاسرة . قد بنى ذلك على سببين رئيسيين :

أحدهما : أن الرجل هو المكلف بالانفاق على الاسرة . ولا يستقيم مع العدالة في شيء أن يكلف الانسان بالانفاق على هيئة " ما " دون أن تكون له القوامة عليها . والاشراف على شئونها .

ثانيهما : والسبب الثاني الذى بنى الاسلام عليه قوامة الرجل على المرأة هو : أن المرأة مرهفة العاطفة . قوية الانفعال . شديدة التأثر وأن ناحية الوجدان لديها . تسيطر سيطرة كبيرة على مختلف نواحي حياتها النفسية .

وقد سوى الله سبحانه وتعالى المرأة على هذا الوضع . حتى يكون لها من طبيعتها ما يتيح لها القيام بوظيفتها الاساسية . وهى وظيفة الأمومة والحضانة والتربية على خير وجه .

فلا يخفى أن هذه الوظيفة . تحتاج الى عاطفة مرهفة . ووجدان رقيق . وحنان رحيم . أكثر ما تحتاج الى التفكير والادراك والتأمل . على حين أن الرجل لا يندفع في الغالب مع عواطفه .

ووجد انه اندفاع المرأة بل تغلب عليه ناحية الادراك والتفكير ٠

وغني عن البيان : أن القوامة والرياسة تحتاجان الى الادراك والتأمل أكثر مما تحتاجان الى العاطفة والوجدان ٠ وصفات القوامة والرياسة متوفرة — اذن — في الرجل بطبعه ٠ أكثر من توافرها في المرأة ٠

وقوامة الرجل قائمة على الرحمة ٠ والمودة والمحبة وحسن التصرف فهي قوامة ٠ تهدف الى الرعاية والعناية والتوجيه ٠ كما أنها بحكم طبيعة كل من الرجل والمرأة ٠ وليست بسلطان مفروض ٠

وهي بمعنى آخر : تدبير ٠ وارشاد ٠ وحكمة ٠ وامعان نظر ٠

قال الله تعالى في سورة البقرة : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ٠ وللرجال عليهن درجة) ٠

ويقول ابن كثير في قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) أى في الفضيلة وفي الخلق ٠ والخلق " المنزلة " وطاعة الأمر ٠ والانفاق والقيام بالمصالح ٠

قال تعالى في سورة النساء (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) ٠

قال ابن كثير في هذه الآية : أي الرجل على المرأة ، أي هو رئيسها والحاكم عليها ومؤدبها اذا اعوجت ٠

وقال في قوله تعالى (بما فضل الله بعضهم على بعض) أي لأن الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة ، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذلك الملك الاعظم - رئاسة الدولة - لقول النبي عليه الصلاة والسلام " لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة " رواه البخاري ٠

وقال ابن كثير في قوله تعالى " وبما أنفقوا من أموالهم " أي من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ٠ قال الكاتب الكبير عباس محمود العقاد في كتاب - المرأة في القرآن - والقوامة هنا في الآية السابقة ، مستحقة بتفضيل الفطرة ، ثم بما فرض على الرجال من واجب الإنفاق على المرأة - وهو واجب مرجعه ، الى واجب أفضل ، لمن هو دونه فضلا ، وليس مرجعه الى مجرد انفاق المال والا لأمتنع الفضل اذا ملكت المرأة مالا ٠ يغنيها عن نفقة الرجل أو يمكنها من الانفاق عليه ٠

وحكم القرآن بتفضيل الرجل على المرأة هو الحكم البين ، من تاريخ آدم، منذ كانوا قبل نشوء الحضارات ، والشرائع العامة ، وبعد نشوءها .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الناس أعظم حقا على المرأة ؟

قال: زوجها .

قلت : فأى الناس أعظم حقا على الرجل ؟

قال : أمه .

وعن الحسن رضى الله عنه: عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " ان الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته " .

فأنت أيها القارئ الكريم ترى من كل هذا ، أن هذه الرئاسة والقوامة تعنى فيما تعنى قوامة متجهة الى خير من يدخل فى نطاقها ، وتحقيق السعادة له .

وتعنى فيما تعنى : الارشاد والهداية ، التى تجعل من التفاهم

والاقناع وسيلتها الفعالة في بناء الاسـرة •

إنها رياسـة • ودرجة • وقوامـة • تتوارى وراء البحث والتفكير الحر• ولا تظهـر الا عند الضـرورة القصوى • للفصل في المواقـف المعقـدة •

درجـة • وقوامة ورياسـة : لاتتضمن حيفا على الزوجـة • ولا مساسا بحريتها ولا نقصـا من حقوقهـا •

ولكنها وسيلة لابد منها لحسن سير الامور •في الأسرة • وهكـــذا ترى الحكمـة واضحـة في التشريع الاسـلامي •

الفصل الخامس
المـــراة والميـــراث

" المــرأة والميـــراث "

كانت المرأة قبل الاسلام مهيضــة الجناح مظلومــة الجانب لاحول ولا طــول ولا شأن لها ولا اعتــبار .

ليس لها حق في الميراث مقرر سواء كانت زوجا أو أما أو أختــا أو بنتــا وهي نفسها كانت تورث كأنها جزء من تركــة المتوفـــــــى ، للوار ث أن يتصـــرف في أمرها كيف شــاء .

وكان أهل الجاهلية لا يورثـــون النساء والاطفال . ويقـــولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة وحمى الد يار .

فلما أشرقت شمس الاسلام بالحق والنور الوضاح تبوأت المرأة مكانهـــا اللائق بها وأصبح لها نصيب مفروض في الميراث مقـــرر شرعـــــا لا يعارضها فيه معارض ولا يمنعها من هذ ا الحق مانـــع .

يروى أن أوس بن ثابت توفي وترك زوجة وثلاث بنات فزوى أبناء عمـــه ميراثـــه عنهن فجاء ت زوجـــة أوس الى رسول الله تشكو لــــه هذ ه الحالة فقال لها رسول اللــه : ارجعي حتى أنظر ما يحـــد ث فنزل قوله تعالى جلت حكمته (للرجال نصيب مما ترك الوالـــــد أن

والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالـدان والاقربون مما قل منه أو أكـثر نصـيبا مفروضـا) فبعث رسول الله الى ابني عم أوس قائلا : لاتفرقا من مال أوس شـيئا فان الله قد جعل لهن نصـيبا ولم يبين حتى يبين ، ثم بين الله سبحـانه وتعالى في قوله (يوصـيكم اللـه في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك وان كانت واحـدة فلها النصـف ولأبويـه لكل واحـد منهما السدس مما ترك أن كـان له ولد فان لم يكـن له ولد وورثـه أبواه فلأمه الثلث فان كان له أخوة فلأمـه السدس من بعد وصـية يوصي بها أو دين آباؤكـم وأبناؤكـم لاتدرون أيهم أقـرب لكـم نفعا فريضـة من الله إن الله كان عليما حكيمـا) الى آخر آية ١٢ من سورة النساء .

والى هنا وضح نصيب أفراد المتوفى فأعطى رسول الله زوجـة المتوفى الثمن والأبناء الثلثيـن والباقي ابني العم .

أيها القارئ . وأيتها القارئـة . لقد رفع الاسلام من شـأن المـرأة فحقق لها ما تبتغيه من حق وما ترجـوه من خير وصار لهـا

في الميراث والملكية نصيب مفروض هي حرة فيه تتصرف فيه كيف تشاء ولم يتحقق للمرأة مثل هذا في أي شرع سابق أو قانون قبل الاسلام ولا في مجتمع آخر بعيد عن المجتمع الاسلامي،وقد يتشدق المتشدقون وأصحاب الاغراض الخبيثة والدعوات الهدامة خصوصا المستشرقون • بأن الاسلام لم ينصف المرأة لأنه أعطاها النصف في الميراث بينما أعطى الرجل ضعف نصيبها • وهذا كما يقولون اعتراف ضمني من الاسلام بأن انسانيتها أقل من انسانية الرجل وأنها ناقصة عقل ودين •

والحقيقة أيتها الاخت المسلمة أن هؤلاء وأولئك من الغربيين بمثل هذه الاقوال مدفوعون بعوامل التعصب المقوتة فوق ما لهم من أغراض سيئة وأهداف معينة يريدون منها أن ينالوا من التشريع الاسلامي • وأنى لهم ذلك • الاسلام بحكمه وتشريعه باق بقاء الدهر ومن أراد أن ينال منه هدمه ومن نزى به ولم ينفذ حدوده وأحكامه أذله •

الاسلام حقق للمرأة آدميتها ورفع منزلتها وانتشالها من هوتها

السحيقة المظلمة • والاسلام أيتها المسلمة حينما أعطى المرأة النصف وأعطى الرجل ضعف هذا المقدار لا لأن انسانيتها أقل من انسانية الرجل كما يقول ذلك المتقولون • وانما الحقيقة الواضحة التى لا غموض فيها أن الاسلام أعطاها النصف من الرجل لأن طبيعتها فى الحياة العاملة غير طبيعة الرجل •

والباحث المنصف البعيد عن التعصب يرى أن الشريعة الاسلامية أعطت المرأة النصف وهو أكثر مما أخذه الرجل ذلك وهى بنت لها النفقة على أبيها كاملة فاذا دخلت بيت الزوجية فنفقتها على زوجها ثم ابنها من بعد فان احتاجت ولا عائل لها فعلى بيت مال المسلمين • أما أخوها فله الرعاية والنفقة الى البلوغ قادرا على الكسب فاذا ما بلغ سن الرشد احتمل من نفقات الاسرة الشئ الكثير ثم عليه نفقة أبيه وأمه ان احتاجا إليه •

ثم أن الرجل مطالب بنفقات الاسرة بنين وبنات وزوجة وأقارب • ثم هو يقدم المهر لزوجته عنوانا على رغبته فيها والذى لا حد لاكثره

(وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) .

كذلك الرجل مطالب [illegible] اذا ما طلق الزوجة .
وهو أيضا مطالب بالمتعة . من محكم التنزيل قال تعالى
(وللمطلقات متاع بالمعروف) فالرجل مطالب بكل شيء والمرأة لا تطالب
بشيء .

فلا عجب إذا اختلف حال الاثنين تبعا لاختلاف أحوالهما
وطبيعة كل منهما في حياتهما العامة الداخلية والخارجية .

فإذا أخذت المرأة نصيبها في الميراث فهي حرة في تصرفه
في كل شيء وليست ملزمة بشيء .

هذا هو التشريع الاسلامي الذي أنصف المرأة وحماها
من الظلم الاجتماعي الواقع عليها وأزال مظالمها .

ونحن إذا نظرنا إلى من يتشدقون بالحضارة ويزعمون
أنهم أرقى الأمم مدنية وحضارة واكتشافا . وجدنا معظم دولهم
تحرم المرأة حقها من الميراث . وتجعله مقصورا على أكبر الأولاد سنا
وهذا هو الرجل الأبيض يتزوج من الملونة حتى إذا قضى منها وطره
هجرها وإذا طلبت من القضاء أن ينصفها وقف القضاء ضدها .

وقد حدث أن واحدة من سلالة الملونين طلبت ميراثها من رجل أبيض كان قد تزوجها فرفضت المحكمة أن تورثها قائلة في حيثياتها أن المدعية تنحدر من سلالة الملونين اذ كان جدها الثامن ملونا وحيث أن زواج الابيض من الملونة باطل قانونا فان المحكمة ترفض دعوى المدعية وتحكم بعدم أحقيتها في الميراث ..

فشتان بين حال المرأة في المجتمع الاسلامي الذى لا يفرق بين الالوان ولا يعترف بالجنسيات والقوميات وبين حال المرأة في المجتمعات الأخرى الجائرة .

ولتنعم المرأة في ظل التشريع الاسلامي ولينعم المجتمع الإسلامي كله بحضارة هي أسمى الحضارات .

الفصل السادس
الام ودورها فى التربية

" دور الأم في التربية "

أشهى ثمرات الحياة إلى الإنسان الأولاد فلذات الأكباد زينة الحياة وأعز الودائع وأسناها . وقد يما قال الشاعر العربي :

وانما أولادنا بيننا ∴ أكبادنا تمشي على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم ∴ لامتنعت عيني من الغمض

قال تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) فالأولاد ليسوا ملكا للوالدين فقط وانما ملك للامة والانسانية في أسمى معانيها وأنبل قيمها .

ولهذا وجب على الأبوين أن يحسنا تربية النشىء فينشئونهم تنشئة صالحة فاضلة على مثال من الشمم والاباء والقوة والسلامة والمجد والمروءة والاخلاق الرفيعة والهمم العالية والعزائم الراسخة .

قال حافظ ابراهيم مشيرا الى دور الأم :

الام مدرسة اذا أعددتها ∴ أعددت شعبا طيب الاعراق

الام روض أن تعهده الحيا ∴ بالري أورق أيما ايراق

الام أستاذ الاساتذة الاولى ∴ شغلت مآثرهم مدى الآفاق

وقال الشيخ عبد اللطيف جاب الله موسى مخاطبا المرأة مبينا دورها في القيادة :

والطفل من للطفل غيرك تشئيه .. على المكارم وارتقي بفتاك

قودي الى سبل الفضيلة خطوة .. فسيهتدي في سيره بخطاك

واسقيه حب الدين والوطن الذي .. غذاه من خيراته وغذاك

حتى يشب على الفضائل والعلا .. يحمي حماه من الردى وحماك

للبنت كوني خير أم إنها .. حتما تقلد أمها وتحاكي

مرآتها في الناس أنت وسعيها .. رهن بما تسعى له قدماك

فاذا غويت فأمرها لغواية .. واذا اهتديت استرشدت بهداك

فالأم مدرسة وأي مدرسة إنها مدرسة المعارف واللغات والعلم والنور وان شئت فقل مدرسة الامومة ينعكس على الطفل فيها كل ما يراه في المنزل من تعاطف وتراحم وألفة وانسجام أو بالعكس فنشأة الطفل الأولى عليها يعتمد ويسير وقد تكون ايجابية أو سلبية .

قال الامام الغزالي عن الطفل (وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة . وهو قابل لكل ما ينقش عليه

وبائل لكل مايمال اليه • فان عود الخير وعلمه سعد في الدنيا والآخرة في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه) •

فنفس الطفل في مهده تكون سليمة عذبة صافية رائقة تتأثر بالفضائل كما تتأثر بالرذائل •

قال عز وجل (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلا ماتشكرون)

وقال تعالى (فأقم وجهك للدين الحنيف فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)

وعلى أشعة هذه المفاهيم يمكننا أن نعرف الحكمة من قول الرسول عليه الصلاة والسلام (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع)

فرسالة الام في مجال التربية رسالة جد خطيرة •

النشيء اذا تربى تربية صالحة ، ونشأ على الفضيلة والتقاليد السوية وقام على الاخلاق السامية والمبادئ العليا فلاعجب إذا شب محافظا مستقيما خيرا .

قال الشاعر صالح بن عبد القدوس :

وان من أدبته في الصبا .. كالعود يسقى الماء في غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا .. بعد الذي أبصرت من يبسه

وقال شاعر آخر :

قد ينفع الأدب الأطفال في صغر

وليس ينفع عنه الشيبة الادب

إن الغصون اذا قومتها اعتدلت

ولن تلين اذا قومتها الخشب

وعلى ضوء هذه المفاهيم من قيمة الأدب في الصغر يمكننا أن نعرف الحكمة من قول رسول الإنسانية واستاذ تربيتها ورسولها الاكرم محمد بن عبد الله قال :

"مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا

بينهم في المضاجع " والام في مجال التربية لها الاهمية الكبرى فهي التي تغرس الجرأة والشجاعة في نفوس الاولاد وهي التي تصنعهم في مصنع الابطال ليكونوا فوارس وأبطالا ليذودوا عن الوطن ويجولوا في ساحاته ٠

الام هي التي تجعل من الاولاد أسودا وأبطالا ٠

قال الشاعر العربي معروف الرصافي :

ولم أر للخلائق من محل .. يهذبها كحضن الامهات

فحضن الأم مدرسة تسامت .. بتربية البنين أو البنات

وأخلاق الوليد تقاس حسنا .. بأخلاق النساء الوالدات

فكيف نظن بالأبناء خيرا .. اذا نشأوا بحضن الجاهلات

ففي وسع المرأة أن تقدم أفرادا نافعين وجنودا لا يرهبون الردى ولايخافون حومة الوغى سواء وقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم ففي وسعها أن تعد جيلا نافعا وأعضاء للمجتمع يعتز بهم ٠

واني هنا أضرب أمثلة من صميم تاريخنا وأدبنا لتكون نبراسا

للمجتمع وهدى لمن أراد ٠

هذه هند زوج أبي سفيان قال لها بعض رجالات قومها يمتدح ابنها معاوية : ان ابنك هذا سيسود قومه فما كان جواب هند الا أن قالت ثكلته أن كان لا يسود الا قومه ٠ ألا ترى معي أيها القارئ العربي أن في مثل هذا القول دفعة قوية واعدادا للمستقبل ٠ اعدادا يدفع بالابن دفعا الى المجد والعز ٠

وهذا عبد الله بن الزبير يدخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق فيقول : " يا أماه قد خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبق معي الا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني من الدنيا ما أردت فما رأيك " ٠

فقالت أسماء : " أنت أعلم بنفسك يا ولدي ان كنت تعلم انك على حق واليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن رقبتك من غلمان بني أمية ٠

وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن معك وان قلت يا بني كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت

فليس هذا من فعل الأحرار ولا أهل الدين وما خلدوك في الدنيا القتل أحسن" .

قال عبد الله : يا أماه أخاف أن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني

قالت: ان الكبش اذا ذبح لايؤلمه السلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله . فخرج عبد الله وأسند ظهره الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم حتى قتل ومثلوا به واقتطعوا رأسه وجاءوا به الى الحجاج فأرسله الى عبد الملك بن مروان .

وكانت الخنساء بنت عمرو بن الحارث تعتبر بحق في عداد الامهات الفضليات والمربيات الصالحات دفعت بأبنائها الاربعة الى ميدان الجهاد للذود عن حرمة الوطن وحوزة العقيدة بعد أن زودتهم بالدر النفيس من النصائح والتوجيهات..

قالت لهم فيما روته كتب الادب العربي :

" أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا اله الا هو إنكم بنوا امرأة واحدة ما هجنت ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا أن الدار

الثانية فقد أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال
عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين " .

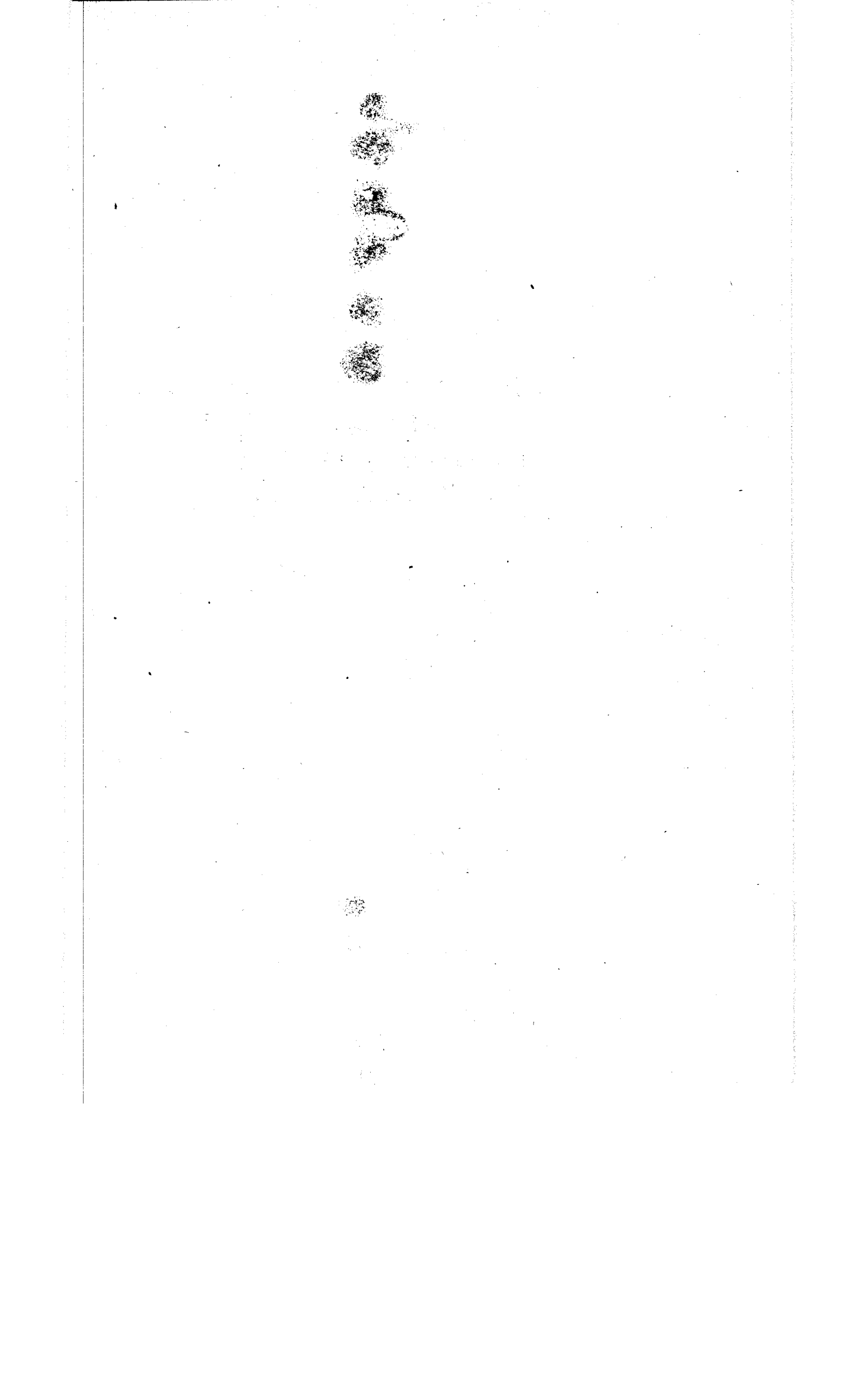
فلما أصبح الصباح حتى هب الأخوة الأربعة بنفوس مؤمنة
وعزائم كالسيف مضاء ذهبوا إلى حيث ان القتال غير مبالين وظلوا
يقاتلون ببسالة حتى استشهدوا واحدا بعد الآخر وحين علمت أمهم بذلك صبرت
واحتسبت وقالت بإيمان كلمتها الخالدة في فم الدنيا " الحمد لله
الذي شرفني باستشهادهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في
مستقر رحمته " .

قال الشاعر:

ثم ابني الأمهات على أساس .. ولا تبن الحصونا ولا القلاعا
فهن يلدن للخصم الخطر اكي .. وهن يلدن للغاب السباعا

ان المرأة تحمل رسالة خطيرة إذ هي ملهمة الجيل والأمينة
على الدرر الغالية من الذرية مسؤوليتها في إعداد الجيل مسئولية
كبيرة تمتد للوطن الإسلامي جميعا مؤمنا برسالة السماء معتزا بأمته
غيورا على وطنه الكبير الفسيح الجنبات .

الفصل السابع
رحمة الإسلام بالمرأة



" من رحمة الاسلام بالمرأة "

من رحمة الاسلام بالمرأة انه لم يدع شأنا فيه مصلحتها الا وشرع له وأرشد اليه وأمرها باتباعه • ولم يترك أمرا فيه ضررها الا وحذرها منه ونهاها عنه •

ومن بين ما شرعه الاسلام وفيه إعلاء قدرها وعلو منزلتها سترها بدنها وعدم ابداء زينتها وتوجيه المسلمات الى أن يدنين عليهن من جلابيبهن •

وهذه التعاليم الاسلامية التى جاءت فى شأن المرأة كان لها أكبر الاثر على عقلها وقلبها ونفسها ، فأسلمت المرأة المسلمة لأوامر الاسلام والتزمت بما أمرها الله سبحانه وتعالى به من سلوك حسن • وخلق رضى،وعلى الرغم من طبيعة المرأة التى تحب التزين • فقد كان اقتناع المرأة بالاسلام وماجاء به حافزا لها على أن تغير من سلوكها وفق المنهج الذى ارتضاه الاسلام لها • وكانت المرأة المسلمة تحس بأن فى هذا السلوك السعادة لها • ولأفراد المجتمع الاسلامى وكان هذا الاحساس النبيل امتثالا لقول الله تبارك وتعالى :

(ياأيها الذين آمنوا استجيبوا الله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم

وكانت استجابة المرأة المسلمة أشد وأقوى في الحرص على تنفيذ

تعاليم الاسلام في نظام ملبسها وزيها الذي تتزى به . حيث طالبها

الاسلام بستر بدنها تمييزا لها عن غيرها من النساء . وحرصا

عليها . فان ذلك أدعى لصيانتها وحفظها من عيون الطامعين

والنفوس الشرهة وحماية لها من مرضى الألسنة والقلوب .

واذا مس الايمان قلب المرأة المسلمة فإنه يترك أثرا كبيرا في

قلبها وعقلها . وهيئتها وعاداتها والاستجابة لنداء الايمان .

باتباع ما أمر الله . واجتناب مانهى عنه . والمرأة المسلمة في كل

زمان وعصر مطالبة بأن تستجيب لداعي الله وفي ذلك حياتها وعزها

وعلو شأنها .

تدبر قول الله تعالى في سورة الممتحنة (يا أيها النبي اذا جاءك

المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين

ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن

ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور

رحيم" .

قال الشيخ المراغي في تفسيره :

يا أيها النبي اذا جاءك النساء المؤمنات مقدمات لك الطاعة ملتزمات الا يشركن بالله شيئا من صنم أو حجر، ولا يسرقن من مال الناس شيئا ولا يزنين ولا يئدن البنات كما كن يفعلن ذلك في الجاهلية ولا يلصقن أولاد الأجانب بأزواجهن كذبا وبهتانا • ولا يعصينك فيما تأمرهن به أو تنهاهن عنه كالنوح وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيوب • وخمش الوجوه •

ولا تخلو امرأة بغير ذي رحم محرم •فبايعهن على ذلك والتزم لهن الوفاء بالثواب • ان هن أطعنك في كل ذلك • وأطلب لهن المغفرة من الله إنه هو الغفور الرحيم لهن اذا وفين بما بايعن عليه •

من هذا وضح لدينا أن الله سبحانه وتعالى قد أمر رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بمبايعة النساء المؤمنات على اتباع ما أمر الله به واجتناب مانهى الله عنه •

فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يبايع من جاءته منهن على

ذ لك • وكن يأتين إليه وهى طائعات لأنهن مؤمنات مستجيبـــات لما أمر اللــه بــه •

ومما يؤكد استجابتهن لدعوة الله في اتباع أوامره •واجتنــاب نواهيه استجابتهن حينما دعاهن الى ستر أجسامهن وأن يحفظــن فروجهن •

وقال تعالى في سورة النور (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهـــن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن) •

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية • لقد كانت المرأة تمر بين الرجال مفسحة بصدرها لا يواريه شيء • وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها • فأمر الله المؤمنـات أن تستترن في هيئاتهن وأحوالهن كما قال الله تعالـى (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتـك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفــن فلا يؤذين) •

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت مثنية على نساء الانصـــار

حسن امتثالهن واستجابتهن لهذه الآية الكريمة (والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقا لكتاب الله ولا ايمانا بالتنزيل)

لقد أنزلت سورة النور (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) .

فانقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما أنزل الله اليهم فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته فما منهن امرأة إلا قامت الى مرطها المرجل فاعتجرت " المعجر والعجار ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ومنه أخذ الاعتجار وهو لي الثوب على الرأس " به تصديقا وايمانا بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان "

والذي يريده الاسلام من المرأة لا يقصد منه الحجر عليها ولا تقييد حريتها ، كما تزعم كثير من المثقفات ، وانما هو صيانة لها واحترام منه لكرامتها حتى تظهر في المجتمع امرأة حرة فلا يؤذيها فاسق ،ولا يعتدي على كرامتها من لا خلق له .

يقول الله تعالى في سورة الاحزاب (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن

يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) .

طلب الله سبحانه من نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر النساء المؤمنات المسلمات وخاصة أزواجه وبناته . بأن يدنين عليهن الجلابيب اذا خرجن من بيوتهن ليتميزن . واجمال ذلك أن على المسلمة اذا خرجت من بيتها لحاجة أن تسدل عليها ملابسها بحيث تغطي الجسم والرأس ولاتبدى شيئا من مواضع الفتنة كالرأس والصدر والذراعين ونحوها .

ثم علل ذلك بقوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي ذلك التستر أقرب لمعرفتهن بالعفة . فلا يتعرض لهن ولا يلقين مكروها من أهل الريبة احتراما لهن منهم فان المتبرجة مطموع فيها منظور اليها نظرة سخرية واستهزاء . كما هو الشاهد في كل عصر ومصر . ولاسيما في هذا العصر الذى انتشرت فيه الخلاعة وكثر الفسق والفجور .

والاسلام دين الفطرة لذلك فهو لا يسلك في كل شأن من شئون الحياة الا طريقا يتفق مع العقل العام ويتجاوب مع الفطرة السليمة .

انك اذا نزعت عن عينيك المنظار الملون • ونظرت الى الامور كما هي في صورتها الحقيقية الفطرية • فان هذا النظر لابد أن يفضي بك الى نفس النتيجة التي قد انتهى اليها الاسلام •

انه ماقرر للانسان نوعا خاصا من اللباس أو أسلوبا خاصا للمعيشة بل قد اعترف بشرعية كل لباس وكل أسلوب للمعيشة مادام قد تطور وترقي بطريق فطرى سليم • الا أنه وضع مجموعة من المبادئ والقواعد الاساسية من الوجهة الخلقية والاجتماعية الخالصة •

ويريد ألا تتولى كل أمة الاصلاح في لباسها أو في طريقتها للعيشة الا حسب هذه المبادئ والقواعد الاساسية •

فأول هذه القواعد أنه قرر حدود الستر للعورة بالنسبة للرجال فهو يلزم الرجل أن يستر ما بين سرته وركبتيه ويلزم المرأة أن تستر كل جسدها ماعدا وجهها ويديها وأسفل قدميها •

ويقول المودودى في كتاب اللباس :

ومما تجب ملاحظته بهذا الصدد : ان هذه الحدود انما

هي حدود ستر العورة . وما هي حدود الحجاب . فان هناك فرقا بين ستر العورة والحجاب . فالعورة ما يجب على المرأة ستره من أعضاء جسدها - عن أي واحد من الرجال محارمها وغير محارمها - حاشا زوجها - ولو كان هو أباها أو أخاها أو ابنها - وأما الحجاب فهو شيء فوق ستر هذه العورة وهو الذي يفرق فيه بين المحارم وغير المحارم من الرجال . فالوجه واليدان وأسفل القدمين ليست من العورة فيجوز للمرأة كشفها ولكن للمحارم وحدهم فانها مأمورة بألا تكشفها لغير المحارم بموجب حكم الحجاب .

الفصل الثامن

حماية الإسلام للأسرة

من التهدم بعد البناء

" الزواج والطلاق في الاسلام "

الزواج في شريعة الاسلام : ميثاق غليظ ، وعهد متين ، ربط الله به بين رجل وامرأة ، وأصبح كلاهما يسمى زوجا بعد أن كان فردا .

قال الله تعالى في سورة النساء (وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا) والذي يتتبع كلمة " ميثاق " ومواضعها التي وردت فيها لايكاد يجدها تأخذ مكانتها في التعبير القرآني الا حيث يأمر الله بعبادته وتوحيده ، والأخذ بشرائعه وأحكامه .

ونستطيع - وقد جاءت في شأن الزواج - أن ندرك المكانة السامية التي وضع الله الزواج فيها ، وجعله في التعبير عنه ، صنوا للايمان بالله وبشرائعه .

ميثاق أصل ، أقيم على ركائز من التعارف والمودة والرحمة والصيانة والعفة .. وهذا هو الزواج الانساني ، في وجهه الصحيح من جهة الافراد ومن جهة المجتمع ، فمن جهة الافراد سكن نفساني ومن جهة المجتمع واجب اجتماعي وسبيل مودة ورحمة بين الرجال

والنساء • وفضيلة هذه العلاقة بين الرجال والنساء أنها : علاقة سكن تستريح فيها النفوس الى النفوس • وتتصل بها المودة والرحمة والمشاركة القلبية والوجدانية •

ومن ثم يراد بالزواج : تهذيب النفس الانسانية • واستزادة ثروتها من الرحم والرحمة ومن العطف والسمو • ومساجلة الشعور بين الجنسين بما ركب فيهما من تنوع الاحساس وتنوع العاطفة وتنوع القدرة على الحب والايناس •

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : " ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل • خيرا له من زوجة صالحة • أن أمرها أطاعته وان نظر اليها سرته • وان أقسم عليها أبرته • وان غاب عنها حفظته في نفسها وماله " •

وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والاخرة قلب شاكر • ولسان ذاكر • وبدن على البلاء صابر • وزوجة لاتبغيه حوبا في نفسها وماله " •

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل لرسول الله صلى اللـه عليه وسلم: أي النساء خير ؟

قال: " التي تسره اذا نظر وتطيعه اذا أمر ولاتخالفه في نفسهـا ولا ماله بما يكره" .

فمن هذه النصوص العظيمة نرى أن مفاهيم الزواج في الاسـلام لاتدانيها مفاهيم في اقامة الاسرة وتدعيم بنيانها .. فليس الزواج في الاسلام . علاقة جسدية وليس الزواج في الاسلام صـفقة تجارية . وليس الزواج في الاسلام جواز مرور يحمله الانسان حين يوم ارضـاء مابه . وليس الزواج في الاسلام علاقة تلجيء اليها الضرورة الوقتيـة وانما الزواج في الاسلام علاقـة انسانية دائمة تلتقي فيها انسانيـة انسان بانسانية انسانة ؟ علاقة بشرية تجمع بين النفسية والجسديـة للتتوائم مع طبيعة الانسان .

ويشير الى هذا القرآن الكريم دستور الامة الاسلامية في قولـه تعالى في سورة الروم :

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعـل

بينكم مودة ورحمة إن فى ذ لك لآيات لقوم يتفكـرون) ٠٠ فالله سبحانه وتعالى يرشد الإنسانية الى مافيه سعادتها فى الحياة ٠٠ فيضـــع لها أركان الحياة الزوجية فى آية ٠

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) ٠

والركن الاول :السكون النفسى ٠وهذ ا الركن خاص بالزوج والزوجـــة وهو تعبير بليغ عن شعور الاطمئنان والامن والراحة والصـفا٠ ٠

والركن الثانى: المودة ٠والتى يظهر أثرها فى التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين وأسرة كل منهما ٠

والركن الثالث: الرحمة التى لاتكمل للانسان الا بعواطف الامومـــة والابوة ورحمتهما لأولاد هما ٠

فيكون لكل البشر أو الاحياء حظ من هذ ه الرحمـة الكاملة وتستقر العاطفة فى بيت الاسرة ويتم سكون كل من الزوجين الى الاخـــــر٠ اذ ا تباد لا معا ما يعين على هذ ا السكون حيث يعامل الـــــزوج زوجته بالحسنى ويعاشرها بالمعروف ٠ وتعاونه هى على أمور الحياة وتتوافق معه فى رأيه وتراقبه فى غيبته وتد فعه الى صالح الأعمـــــال

وتحقيق الآمال ٠

ولهذه الركائز راعى الاسلام : أن تقوم العلاقة الزوجية منذ البداية على الرغبة والرضا والاختيار ٠

وخوفا من اختلال واحدة من ركائز المودة والسكن ٠ يوجه الله سبحانه وتعالى المؤمنين الوجهة الصحيحة التى فيها السعادة الزوجية ٠ فيقول تعالى فى سورة النساء (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ٠

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يفرك مؤمن مؤمنة ان أبغض منها خلقا رضى لها آخر " ٠

حياطة قوية ووقاية سليمة ٠ حتى تمضى ريح بيت الزوجية رخاء لينة وفى هذا الجو يتمتع الزوجان بحياة سعيدة ويعملان معا من أجل الحياة والوصول الى ذروة ما قدر لهما ولمجتمعهما من الخير والنجاح ٠

وهذه هى الحياة التى نسجت خيوطها ٠ بعد بحث وتعرف ودراسة وخطبة ومهر وزفاف واعلان ٠ ليس من اليسير على الشريعة الاسلامية أن تتهاون فيها أو تتساهل فى نقضها وفصم عراها ٠ لادنى مناسبة أو أوهى سبب يدعيه الرجل أو تزعمه المرأة ٠ ولكن

النفوس البشرية . عرضة للتقلب ولمظاهر الحياة أو لانحراف القلوب نزعات تحاول أن تغير من عواطف الحب والرحمة والسكن وتقطع ما يكون من صلات .

ومن هنا حذر الاسلام من مسايرة النزعة الطارئة وأرشد الى محاربتها وعدم التأثر بها بل شككه في وجدانها والشعور بها وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة النساء (وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) .

أمر بالمعاشرة الطيبة التي يقرها العرف النابع من الكرامة الإنسانية ثم تشكيك فيما يتقرب الى القلب من بواعث الكراهة والبغض . فان كرهتموهن " ثم عدة بالخير الكثير على مكافحة تلك البواعث التي تحاول بنزعات الخواطر النادرة أن تنفذ الى القلوب المتحابة . " فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا " ..

لم يقف الاسلام في علاج نزعات الكراهة بين الزوجين عند هذا الحد الذى وجه اليها نظر الازواج وانما قدر أيضا أن تمتد هذه النزعات الى قلب المرأة فتحملها الى النشوز .

وهنا أرشد الاسلام الى أن النساء منهن صالحات وشأنهن القنوت والطاعة لله فيما أمر الله من القيام بحقوق الزوجية .

وهذا الصنف من النساء ليس للازواج عليهن من سلطان . قال تعالى في سورة النساء (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله)

أما غيرهم . وهن اللائى يحاولن الخروج على حقوق الزوجية ويعرضنها للتدهور والانحلال .. فقد دعا القرآن الكريم لاصلاحهن ويردهن الى مكانتهن الطبيعية .وذلك عن طريق الاصلاح والتأديب .

وهذا الطريق الاصلاحي الداخلي علاج قد تصل به الى الهدف المنشود دون أن يسمع الناس ودون أن تعرف المساوىء .

قال الله تعالى (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) .

أولا : وعظ وارشاد وحكمة . لأن كثيرا من النساء من يؤثر فيهن هذا اللون من الأدب . قال الامام محمد عبده فى تفسير قوله تعالى (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن) قال : والوعظ يختلف باختلاف حال المرأة فمنهن من يؤثر فى نفسها التخويف من الله وعقابه على النشوز .

ومنهن من يؤثر فى نفسها التهديد والتحذير من سوء العاقبة فى الدنيا كشماتة الاعداء والمنع من بعض الرغائب كالثياب الحسنة والحلى والرجل العاقل لا يخفى عليه الوعظ الذى يؤثر فى قلب امرأته .

فالتى يكفيها الوعظ بالقول لا يتخذ معها سواه . فان أفاد أسلوب الحكمة والتريث وتفتحت عينا المرأة وتنبهت لخطر الشقاق والخصام . كان ذلك أدعى إلى عودة الأمور الى طبيعتها . وان لم يجد هذا الاسلوب . لجأ الزوج الى وسيلة أخرى . قد تكون أجدى نفعا وأبعد أثرا .

ثانيا : الإعراض عنها فى فراشها قد يكون لهذا النوع من العلاج نتائج رائعة فقد تأتى على المرأة عوامل الندم وتصلح ما أفسدت .

والهجر فى المضاجع علاج نفسى بالغ . وليس عقوبة حسية تؤلم المرأة لما يفوتها من سرور ومتعة . فان فوات السرور والمتعة أياما . لا يؤلم المرأة هذا الايلام الذى يجعل الهجر فى المضاجع من أصعب العقوبات .

ويقول الاستاذ رشيد رضا : " أما الهجر فهو ضرب من ضروب

التأديب لمن تحب زوجها ويشق عليها هجره اياها ولايتحقق هـذا بهجر المضجع نفسه • ولا بهجر الحجرة التي يكون فيها الاضطجـاع وانما يتحقق بهجر الفراش نفسه •

وفي الهجر في المضجع نفسه معنى لايتحقق بهجر المضجع أو البيت الذي هو فيه • فإذا هجر الرجل المرأة وأعرض عنها • رجـى أن يدعوها ذلك الشعور الى سؤاله عن السبب ويهبط بها من نشـز المخالفة الى صف الموافقة •

ثالثا : وان لم يُجد أسلوب الهجر لجأ الى ملجأ آخر أي الزوج وهو الضرب (واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان اللـه كان عليا كبيرا) والضرب أمر صعب يلجأ اليه الزوج في حالات صعبة كما يلجأ الطبيب الى الدواء المر في علاج المريض • ابقاء على صحته والتماسا لعافيته •

والضرب مر لأن أشد مرارة منه لدى المرأة هدم صراح الاسرة • وتقويض دعائم بنائها • وغاية ما يفهم من ذكر الضرب أن بعض النساء يتأدبن به ولايتأدبن بغيره وانه لمن السخف الرخيص أن يقـال

أن جنس النساء قد يوجد من المرأة التي يصلحها الضرب ولا يصلحها غيره .

وجملة القول أن هذه الوسائل تستنفذ كل حيلة في الوسع للإبقاء على صلة الزواج واتقاء الفرقة بين الزوجين . فعلى الرجل أن يغالب كراهيته المرأة اذا تحول قلبه عنها "عسى أن يكره شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا" . وعليه أن يجرب النصيحة والهجر والتأديب فان أفلحت هذه الوسائل التي تنحصر بين الزوج وزوجته بقيت الصلة ودامت المودة والألفة .
وان لم تفد هذه الوسائل و تفاقم الشر واشتد الخلاف ولم يجد أحدهما سبيلا لاصلاح مابينهما ودعت الحاجة الى الاستعانة بمن يرأب الصدع ويرتق الفتق . وذلك بحكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة .

وعلى هذا جاءت الآية الكريمة ترسم العلاج في حالة التفاقم وشدة الخلاف . وعجز الزوجين بأنفسهما عن ازالته (وان خفتم شقاق بينهما فأبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا

اصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا) يتوخى الحكمان في ذلك النية الصادقة والاخلاص لازالة الخصام وتخفيف حدة التوتر. فإن استعصى الصلح وساءت العشرة واتسع الصدع .وضاق الخناق واستحكمت حلقات الازمة وأصبح من العسير عودة المياه الى مجاريها . فليس هناك الا التسريح باحسان قال تعالى (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) وقال تعالى (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) وهذا هو الخلاص من جو الكراهية المشبع بالحقد والبغض والنفرة .وقد أباح الله الطلاق بطريق أدبي . يوحي الى المرأة والرجل باستئناف النظر فيما حدث وعودة الأمور الى الطريق الطبيعي .

فجاء الطلاق على ثلاثة مراحل :

المرحلة الاولى : طلاق رجعي يسوغ للزوج بعده أن يراجع زوجته مادامت في عدتها بغير مهر ولا عقد .

المرحلة الثانية : طلاق بائن : بينونة صغرى : يسوغ للزوج أن يراجع زوجته بغير مهر في العدة أو بعدها .

المرحلة الثالثة : طلاق بائن بينونة كبرى : لايجوز للزوج فيه أن يراجع

زوجته الا اذا تزوجت رجلا آخر زواجا شرعيا صحيحا به ثم طلقهـــا أو مات عنها ٠

وحكمة ذلك أن الطلاق الاول قد يكون عن ثورة طارئة يعقبهـــا ندم فكان من حق الزوج أن يراجع زوجته بغير مهر وعقد ٠
فان عاود الطلاق كان من الطبيعي أن يشددعليه الشرع في مراجعة زوجته فإن طلق للمرة الثالثة كانت المراجعة أشد عسرا ٠ ولهذا لــم يتح له الاسلام ان يستعيد زوجته إلا إذا تزوجها غيره ٠
ذلك أن الرجل يأنف أن يراجع زوجته بعد أن يتصل بها رجل آخر يقتضي هذا أن يضبط الانسان نفسه ٠ ويتدبر أمره ٠ ويفكر طويـــلا قبل أن يوقع الطلقــة الاخيرة ٠

فان لم تفلح قوارع الطــلاق مرتين وطلقها الثالثة تحرم حتـــى تنكح زوجا غيره زواجا شرعيا ٠وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته٠

والاسلام يخول المرأة أن تطلب الطلاق واذا كرهت البقاء فــي عصــمة زوجها ٠ فاذا تصالحا على الفراق فذلك خير من البقاء علــى النفاق الدائم وخير من الفراق على عداوة وكل مايطلب من المرأة في هذه الحالة أن تعفى الزوج من النفقــة ٠ وترد اليه ماله ٠

عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله: ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الاسلام • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقبل الحديقة وطلقها تطليقة •

فشريعة الاسلام لم تضع الطلاق بغير حدود ولم تبحه كل الاباحة فهو ضرورة وحيلة من لاحيلة له في الوفاق ومع ذلك فهو أبغض الحلال الى الله •

فمشروعية الطلاق في الاسلام: جاءت في حالات لامحيد عنها إذا لايجوز أن يعيش الزوجان في جحيم لايطاق وجو مشحون بالغل والحقد الذي قد يؤدي الى مالاتحمد عقباه من خطر يحمل الزوج والزوجة على الفرار من الدين • أو يدفع أحدهما أو كلاهما الى الخروج من إنسانيته بقتل النفس وازهاق الروح •

فالطلاق علاج والعلاج لايحتاجه الصحيح • فان استقر أمر الزوجين على الطلاق وعزما على الفراق فلا يصح أن ينزل الزوج

بمطلقته ضرراً من تطويل عليها أو أخذ شيء منها .

قال الله تعالى (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) .

فقوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) أى متقبلات لعدتهن وذلك في طهر لم يمسها فيه . أما إذا كانت حائضا أو في طهر قد مسها فيه فلا يجوز الطلاق .

وروى البخارى ومسلم أن ابن عمر طلق امرأة له وهى حائض فذكر عمر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله ليرجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر فإن بدا له أن يطلقها فيطلقها قبل أن يمسها .

ذلك أن الفترة التى بها الحيض فترة ركود أو نفور أو استجابة لنوازع الغضب أما فترة الطهر فهى الزمن الملائم للإمتزاج والتفاهم والاتصال

فاذا طلق الرجل زوجته فى الطمث أو طلقها فى طهر مسها فيه • كان طلاقا بدعيا مخالفا لما سنه الشرع وإن وقع فى رأى الجمهور •

على أن بعض السلف وابن تيمية وآخرين ذهبوا الى أن الطلاق فى الطمث ليس بشئ لانه مخالف لما أذن الله به فهو بدعة لاتزيل عقد الزواج الذى يتيقن بالكتاب والسنة والاجماع •

واشترط الاسلام أن يكون الطلاق أمام شاهدين كما كان عقد الزواج أمام شاهدين قال الله تعالى (فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) •

وفى هذا شرط ارهاب من الاقدام على الطلاق لاول بادرة •ثم تسهيل لوقوعه اذا ماوقع حتى لايتلاعب الزوج به •

والطلاق من حق الازواج والزوجات • أما مايطالب به المثقفون بالثقافات المستوردة والمكاتبون الذين يعتقدون أنهم يعالجون قضايا اجتماعية من جعل الطلاق بيد القاضى حسب مايتبين له من حيثيات •

فهؤلاء وأولئك قد جهلوا الحقائق التالية :

أولا : أن عدم صلاحية الحياة الزوجية للبقاء قد يكون سببه نفور طبيعي وعدم تلائم في الاخلاق والطباع وهذه أمور نفسية يعسر اثباتها ٠

وقد يكون سبب فساد العلاقة أمرا آخر كسوء سلوك الزوجة أو وجود عيب خفي فيها وما أشبه ذلك أو غير ذلك من الامور التي أوجبت الشريعة الستر فيها فهل يكون من المصلحة الاجتماعية نشر ذلك في دور القضاء وتسجيله في السجلات ٠

وهل يكون من مصلحة الزوجة أن يعرف الناس ذلك ؟

وهل من مصلحة الاسر والعائلات أن يشيع بينهم هذا الاسلوب

ثانيا : ان اعطاء الزوج حق الطلاق تشريع اسلامي لمصلحة المجتمع ذاته كما تدل على ذلك الايات القرآنية ٠

قال تعالى (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن)

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) ٠

وقال تعالى (لاجناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) ٠

فالقاضي لايجوز له التدخل في التفريق الا اذا فات الامساك بالمعروف أو امتنع الزوج عن التسريح باحسان ٠

ثالثا : ان جعل الطلاق بيد القاضي ٠ هو حكم على الرجال جميعا من غير فرق بين مثقف وجاهل بأنهم سفهاء ٠ لايحسنون التصرف ولا يوثق بهم في أخص شئونهم وهذا مخالف للواقع ومغالطة كبرى ٠

الفصل التاسع

وصايا ينبغي ان يتنبه إليها

« للحكمة العربية فى الإسلام نورها

" وصية أب "

ياحبذا لو انصف الاباء وقدموا الى بناتهم ليلة زفافهن نصيحة مفيدة تنفع البنت في حياتها .

وتكون هذه الوصية نابعة من تجربة وخبرة .. فان ذلك يكون أنفع للبنت وخاصة أنها ستقدم على حياة جديدة لم تألفها من قبل ورحم الله السابقين فلم تفوتهم هذه الفرصة الطيبة ليقدموا الى بناتهم نصيحة غالية ليلة الزفاف .

واليكم نصيحة واحد من هؤلاء الآباء الأجلاء :

روى صاحب القوت والبيهقي في الشعب عن أسماء بن خارجة الفزاري وكان هذا الرجل من حكماء العرب .

أنه قال لابنته عند زفافها الى زوجها :

" يابنية ــ قد كانت والدتك أحق بتأديبك مني ان لو كانت باقية . أما الان فأنا أحق بتأديبك من غيري فافهمي عني ما أقول انك خرجت من العش الذى فيه درجت وصرت الى فراش لاتعرفينه وقرين لا تألفينه . فكوني له أرضا يكن لك سماء . وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له أمة لك يكن لك عبدا . ولا تلحفي به فيقلاك

ولاتباعدى عنه فينساك • فان من يبعد عن العين يبعد عن القلب •
ان دنا منك فادنى منه • وان نأى عنك فابعدى عنه • واحفظى أنفه •
وسمعه وعينه فلا يشم منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا "
وكونى كما قلت لامك ليلة ابتنائى بها :

خذ العفو منى تستديمى مودتى
ولا تنطقى فى ثورتى حين أغضب
ولا تنقرينى نقرك الدف مرة
فانك لاتدريك أين المغيب
ولاتكثرى تالشكوى فتذهب بالهوى
فيابـاك قلبى والقلوب تقلب
فانى رايت الحب فى القلب والاذى
اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

هكذا الاباء العقلاء يقدمون النصائح الطيبة حتى يستفيد بها
البنات رحمة بهن وشفقة عليهن حتى تدوم المودة وتنعم الأسرة
بحياة زوجية طيبة •

" وصية أم لابنتها "

والتاريخ العربي ملئ بالوصايا الخالدة سواء كانت هذه الوصايا من الآباء أو الأمهات .

وقد كانت المرأة العربية حريصة أشد الحرص على سعادة ابنتها وهناءتها في بيت زوجها لانها كانت تشعر بأن ابنتها امتداد لها وبقدر ما تتصف به من حسن معاشرتها للزوج تكون سعادتها .

وهذه وصية من وصايا الأمهات لاحدى البنات ليلة الزفاف :

لما تزوج الحارث بن عمر ملك كندة ابنة عوف بن محلم الشيباني وأرادوا أن يحملوها الى زوجها .

قالت لها أمها :

" أي بنية : ان الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ولكنها تذكرة للغافل . ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما اليها كنت أغنى الناس عنه . ولكن النساء للرجال خلقن . ولهن خلق الرجال .

أي بنية : انك فارقت الجو الذي منه خرجت . وخلفت العش

الذي فيه درجت الى وكر لم تعرفينه • وقرين لم تألفينه •
فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا • فكوني له أمة يكن لك عبدا •
يا بنية : احملي عني عشر خصال تكن لك زخرا وذكرا •
الصحبة بالقناعة • والمعاشرة بحسن السمع والطاعة • والتعهد
لموقع عينه • والتفقد لموضع أنفه • فلا تقع عينه منك على قبيح •
ولا يشم منك الا طيب ريح • والكحل أحسن الحسن والماء أطيب
الطيب المفقود • والتعهد لوقت طعامه • والهدوء عنه عند منامه •
فان حرارة الجوع ملهبة • وتنغيص النوم مبغضة • والاحتفاظ ببيته
وماله • والارعاء على نفسه وحشمه وعياله • فان الاحتفاظ بالمال
حسن التقدير • والارعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير •
ولا تفشي له سرا ولا تعصي له أمرا • فانك ان أفشيت سره لم تأمني
غدره • وان عصيت أمره أوغرت صدره • ثم اتقي مع ذلك الفرح
ان كان ترحا • والاكتئاب عنده ان كان فرحا • فان الخصلة
الاولى من التقصير • والثانية من التكدير • وكوني أشد ما تكونين
له اعظاما يكن أشد ما يكون لك اكراما • وأشد ما تكونين له موافقة

يكن أطول ما تكونين له مرافقة • واعلمي أنك لاتصلين الى ماتحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك • وهواه على هواك • فيما أحببت وكرهت • والله يخير لك " •

ويذكر التاريخ أن هذه الزوجة قد حملت الى زوجها وسلمت اليه فعظم موقعها منه •وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا اليمن من بعده •

وما سعدت البنت الا لأنها استفادت من موعظة أمها لها وعملت بما سمعت • فلما أحسنت معاملة زوجها أحسن زوجهامعاملتها لان الجزاء من جنس العمل •والانسان كما يزرع يحصد وصدق الله عز وجل اذ يقول : (وهل جزاء الاحسان الا الاحسان) •

فما أحوج بنات اليوم الى نصائح طيبة من الآباء والامهات وما أحوجنا جميعا الى من يقدم الينا النصائح المفيدة التي تترك في أنفسنا ذكرى طيبة وتهدينا الى الطريق الأمثل •

ما أحوجنا وقد كثرت الشكوى وعمت البلوى وأصبح الكل في ضيق شديد وطغت المادية على كل شيء •

وأصبح الزوج يكيد لزوجته والزوجة تكيد لزوجها ..

ما أحوجنا جميعا الى الرجوع الى تاريخنا المجيد ففيه الأصالة وفيه الخير للجميع .

وياحبذا لو تمسك الجميع بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبح المسلم يقدم النصيحة لأخيه خالصة لوجه الله الكريم ..

وصدق الله عز وجل اذ يقول وهو أصدق القائلين :

(وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) .

" وصية أم لولدها "

ومن هذه الوصايا الطيبة وصية أم لولدها عند سفره ليكون مثلا طيبا أمام أمهات اليوم ليتعلمن من الام المسلمة الذكية الواعية التي عاشت في عصر لاتعرف فيه أي شيء عن وسائل الاعلام الحديثة فلم تشاهد التليفزيون ولم تستمع الى أجهزة الراديو ولم تقرأ الصحف أو المجلات ، ولم تدرس في جامعة من الجامعات ، وانما تعلمت من الحياة ، وكانت الخبرة والتجارب هي أساس هذه النصيحة .

جاء في الآمالي لأبي علي القالي : قال أبان بن تغلب - وكان عابدا من عباد البصرة - شهدت أعرابية وهي توصي ولدا لها يريد سفرا وهي تقول له :

أي بني : اجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك ، فان الوصية أجدى عليك من كثير عقلك .

قال أبان : فوقفت مستمعا لكلامها مستحسنا لوصيتها فاذا هي تقول : أي بني اياك والنميمة فانها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين ، واياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا ، وخليق أن لا يثبت

الغرض على كثرة السهام وقلما اعتورت السهام غرضا الا كلمته حتى تنهي ما اشتد من قوته • وإياك والجود بدينك • والبخل بمالك • واذا هززت فاهزز كريما يلين لهزتك • ولا تهزز اللئيم فانه صخرة لا ينفجر ماؤها • ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك • فاعمل به • وما استقبحت من غيرك فاجتنبه • فان المرء لا يرى عيب نفسه • ومن كانت مودته بشره وخالفك ذلك منه ما فعله • كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها ثم أمسكت •

فدنوت منها وقلت : بالله يا اعرابية الا زدته في الوصية •

فقالت : أوقد أعجبك كلام العرب باعراقي ؟ قلت نعم • قالت : والغدر أقبح ماتعامل به الناس بينهم • ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة وبطنها وسربالها • فهل نطمع في امرأة مسلمة في هذا العصر أن تكون كهذه المرأة المسلمة الطاهرة التي أحسنت تربية أولادها ولم تنس أن تقدم لولدها هدية تمشينة عند سفره فقدمت له خلاصة زمن طويل مضى فدلت بحق على أن المرأة المسلمة في الزمن الماضي كانت خير أم وخير زوجة لانها لم تنس واجبها

نحو أولادها ولا نحو زوجها وبيتها .

والتاريخ الاسلامي خير شاهد على ذلك .

فحينما هذبت الام طباع أولادها وربتهم على التمسك بالخلق والفضيلة وعدم الخوف . نشأ الاطفال أعزاء كرماء لم يخافوا من سلطان ولم يعرفوا النفاق والخيانة .

وهذا هو سيدنا عبد الله بن الزبير بن العوام وابن السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عن الجميع .

انظر اليه عندما كان طفلا صغيرا يلعب مع الاطفال في الطريق ونظر الاطفال وهم يلعبون فرأوا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمر بالطريق أنظر أيها القارئ الكريم : ماذا حدث ؟

لقد هرب الاطفال جميعا حينما أبصروا سيدنا عمر رضي الله عنه يمر بالطريق الذي يلعبون فيه .. هرب الجميع الا سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وهو يومئذ طفل صغير .

فسأله سيدنا عمر رضي الله عنه : لماذا لم تهرب كما هرب زملاؤك ؟

فأجاب سيدنا عبد الله بن الزبير فى ثبات وشجاعة : ما أذنبت حتى أخافك وليست الطريق ضيقة فأوسعها لك ٠

هذا الطفل الصغير قد أصبح رجلا وكان من عظماء الرجال المخلصين المؤمنين ووقفت أمه من خلفه تحرضه على الجهاد فى سبيل الله عز وجل وهى تقول له :

يا بنى : ان الشاة لايضرها السلخ بعد الذبح ٠

أختى المسلمة:

تلك هى الام المسلمة والزوجة المؤمنة ٠

زوجة تؤدى حق زوجها وتعرف واجبها نحو تربية أولادها وصدق الشاعر العربى حينما قال:

الام مدرسة اذا أعددتها ٠٠ أعددت شعبا طيب الاعراق

الام روض ان تعهده الحيا ٠٠ بالرى أورق أيما ايراق

وجدير بكل مسلم أن يختار الزوجة المسلمة التى تعينه على تربية أولاده التربية الاسلامية الحقة والتى تبعد أولادها عن الانحراف والوقوع فيما حرم الله عز وجل ٠

ولهذا فقد بين الاسلام الطريق الامثل لمن يرغب فى الزواج

ورغب الاسلام في الزوجة المتدينة فقال صلى الله عليه وسلم " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة" ٠

وعلى الزوجة أيضا أن تحسن اختيار زوجها لأن الزوج شريك الزوجة والزوجة شريكة لزوجها وهما متضامنان في تربية أولادهما فان أهملا تربية الاولاد كان ذلك وبالا عليهما ٠

وقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المولود يولد وعنده الاستعداد التام ليشكله من بيده تربيته فهو كالعجينة في يد الخباز يشكلها كما يشاء ٠

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " مامن مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" ٠

ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه : اقرءوا ان شئتم قول الله عز وجل (فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون) ٠

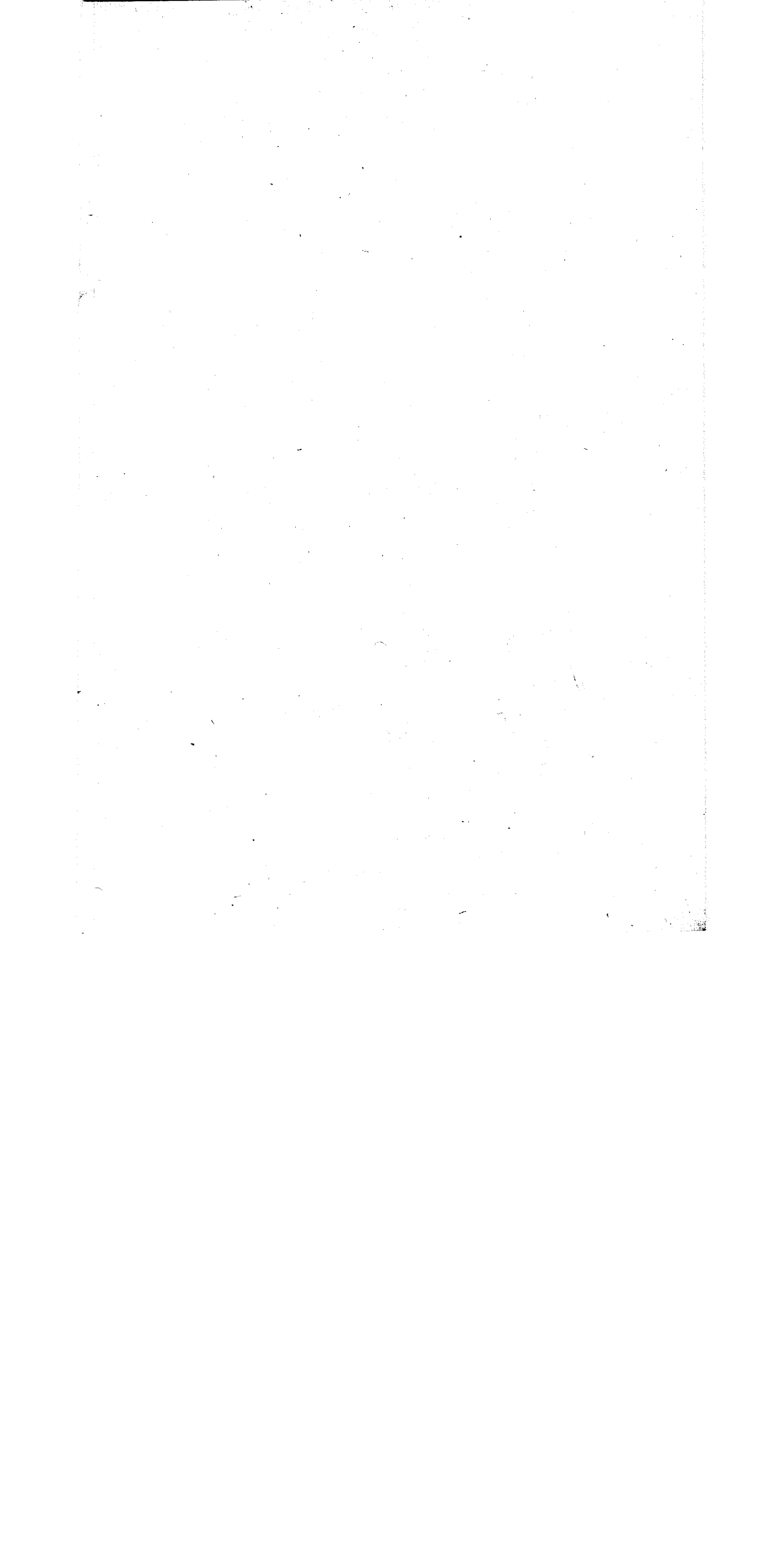
ولكى تدوم المودة والمحبة بين الزوجين تذكر ما بينه

الاسلام الحكيم من تعاليم وارشادات حكيمة حينما بين حق
كل من الزوجين على الاخر وحتى تتحقق الحكمة المرجوة من
الزواج فتسعد الاسرة وينعم الاولاد فى ظل حياة أسرية سعيدة
بعيدة عن الخلافات والمشاكل الأسرية ٠

لان الاسرة لم تعرف المشاكل ولم تشعر بالمتاعب الا منذ أن ابتعدت
عن تعاليم الاسلام وارشاداته الحكيمة فياحبذا لو أنصف كل
من الزوج والزوجة وتمسك كل منهما بتعاليم الاسلام وارشاداته
وأحكامه ٠

ففى ذلك الفلاح والنجاح والسعادة ان شاء الله ٠

الفصل العاشر
ماذا لكل عند الآخر



" حقـوق الزوجـين "

لكل من الزوجـين حقوق ثابتة على الاخر . فللزوجة على زوجها حقوق وللزوج على زوجته حقوق .

أما حقوق الزوجـة فنجملها فيما يلي :

أولا : الانفاق عليها من غير اسراف ولا تقتير .

لقوله عز وجل (لينفق ذ و سعة من سعته ومن قد ر عليه رزقـه فلينفق مما أتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما أتاها) .

ثانيا : الكسـوة : لقوله عز وجل (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن)

ثالثا : السكن الشرعي اللائق بها . لقوله عز وجل (اسكنوهن مـن حيث سكنتم من وجـد كم)

رابعا : العدل بين الزوجات وذ لك فيمن كان متزوجا بأكـثر من واحدة :

لقوله صلى الله عليه وسلم " من كان عند ه امرأتان فلم يعد ل بينهما جاء يوم القيامـة وشقـه مائل "

وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقسم بين زوجاته ويعد ل بينهـن ويقول : " اللهم هذ ا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذ ني فيما تملـــك ولا أملك " .

خامسا : ارشاد الزوجة الى طريق الحق والصواب وابعادها عن مواطن الشر . لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة)

والزوج هو راعي الزوجة والمسئول عنها . قال صلى الله عليه وسلم " الرجل راع في بيته وهو مسئول عن رعيته " .

سادسا : معاشرتها بالمعروف . وذلك لقوله عز وجل (ولاتمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه)

وقوله عز وجل (وعاشروهن بالمعروف) .

سابعا : أن يحسن خلقه معها . وقد عظم الله حق الزوجة على زوجها حينما قال (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) .

وقال صلى الله عليه وسلم " الله الله في النساء فانهن عوان - أسيرات - في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله" وقال صلى الله عليه وسلم مبينا فضل الرجل الذى يحسن خلقه مع زوجته ويحسن معاشرتها " أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وخيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لأهلي " .

وقال في حديث آخر: " استوصوا بالنساء خيرا " .

ومن مكارم الاخلاق مع الزوجات أن يداعب الزوج زوجته لأن ذلك أطيب الى قلبها .

وقد روى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:

" ينبغي للرجل أن يكون مع أهله مثل الصبي " .

ووصفت زوجة أعرابي زوجها فقالت :

كان ضحوكا اذا ولج . سكيتا اذا خرج . آكلا ما وجد غير سائل عما فقد .

وعلى الزوج أن لايفرط في مداعبتها حتى لاتفسد أخلاقها وتسقط هيبته عندها فتسوء العشرة وتظهر الفوضى في بيت الزوجية ويضيع الاولاد بسبب عدم من يهابونه لأن الزوجة قد أسقطت هيبة الزوج .

ثامنا : احتمال الاذى من الزوجة بما لايمس العرض أو الشرف أو الخلق . وقد كانت أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن اليوم والليلة .

وغضبت السيدة عائشة رضي الله عنها مرة فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم " أنت الذي تزعم أنك رسول الله " فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك منها حلما منه صلوات الله وسلامه عليه . وسيدنا عمر رضي الله عنه قد راجعته زوجته فقال: أتراجعينني يالكاع ؟ فقالت : ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك . فسكت . وفي ذلك اشارة الى أنه من الواجب على الزوج أن يتحمل الاذى من زوجته وأن يحاول تهذيب أخلاقها بقدر ما يستطيع أما اذا زاد الامر عن حده فانه ينقلب الى ضده . وكل خلق من الزوجة يهون الا ما يمس الشرف والسمعة فذلك أمر لا يحتمل مهما كانت الاسباب لأنه كما قيل :

كل جرح يداوى الا جرح الشرف .

وما يتعلق بالعرض أمر غير محتمل ولن نستطيع أن نقول للزوج تحمل واصبر بل نقول له: تخلص من هذه الزوجة الشريرة وتخلص من العار والفضيحة . وصدق من قال :

أصون عرضي بمالي لا أدنسه

لا بارك الله بعد العرض في المال

أحتال للمـال ان أودى فأجمعـه

ولست العرض ان أودى بمحتال

تاسعا : تعليمها العلم النافع . بأن يعلمها فرائض الدين وتعاليمه وأحكامه من عقائد وعبادات ومعاملات وحقوقه عليها وأن يبيـن لها أن الاسلام قد أوجب عليها العفة والامانة وصيانة نفسها وماله .

وكذلك من الواجب عليه أن يعلمها الاداب الزوجية وتدبيـر المنزل وتربية الاطفال والاقتصاد في المعيشة وغير ذلك .

وقد قال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : " النساء شقائق الرجال "

عاشرا : لايجوز للزوج افشاء سر زوجته : وقد حذر المصطفى صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال : " ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة :الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر أحد همـا سر صاحبه " .

حادى عشر: يجب على الزوج أن يحمى زوجته وأن يغار عليهـا وأن يحفظ كرامتها لأن الغيرة من علامات الايمان ومن لاغيرة له لا ايمـان له . وعليه أن يمنعها من الخلوة بالاجنبى ومن الخروج من البيـت لغير ضـرورة شرعـية .

وقد قال سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه : " ألا تحسون ألا تغارون ؟ يترك أحدكم امرأته تخرج من بين الرجال تنظر اليهم وينظرون اليها .

وقالت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها : " خير للمرأة أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل" .

وانظر يا أخى المسلم الى هذه التعاليم والارشادات التى ذكرها لنا الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وانظر أيضا الى قول السيدة فاطمة الزهراء البتول ابنة السيد الرسول تجد فيهما الخير كل الخير . وقد قيل ماقيل : فى زمن كانت القلوب عامرة بالايمان خائفة من عذاب الله عز وجل .

أما الان وقد تغير الحال وفسدت الطباع وخلت القلوب من الايمان فكيف يكون الحال وقد تجردت المرأة من ملابسها الا القليل وأصبحت تختلط بالرجال آناء الليل وأطراف النهار .

وما جرنا الى هذه الفوضى الا ابتعاد الانسان عن خالقه وعدم مراقبته لله عز وجل .

حقوق الزوج :

أما حقوق الزوج على زوجته فهي :

أولا : الولاية والرياسة : يؤدبها ويأخذ على يدها حتى لاتخالفه في معروف ولا تخرجه في أمر. قال تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم). وقال تعالى (للرجال عليهن درجة) والرجل زعيم المرأة وسيدها لقوله تعالى (وألفيا سيدها لدى الباب) يريد زوجها .

ثانيا : طاعة الزوج فيما يطلب منها لامعصية فيه : جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : اني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج ؟ قال : " ان حق الزوج على الزوجة اذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير لاتمنعه . ومن حقه أن لاتعطي شيئا من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والاجر له . ومن حقه أن لاتصوم تطوعا الا باذنه فان جاعت وعطشت لم يتقبل منها . وان خرجت من بيتها بغير اذن لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيته أو تتوب " .

وقال صلى الله عليه وسلم " اذا صلت المرأة خمسها وصامت

شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها " .

ثالثا : أن تصون نفسها وتستر عورتها لقوله تعالى (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) .

وقوله تعالى (يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) وقوله تعالى (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن) ودخلت أسماء رضى الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثياب رقاق فأعرض عنها وقال : " يا أسماء . ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا " وأشار الى وجهه وكفيه .

رابعا: أن لا تطلب ما وراء الحاجة . فلا تكلفه مالا يطيق بل ينبغى لها أن تواسيه بمالها ان نزلت به نازلة أو قدر عليه رزقه .

وتطيب نفسها بذلك " فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا " .

خامسا : أن لا يدخل أحد يكرهه زوجها الى بيته الا باذنه لقوله صلى الله عليه وسلم " الا أن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم من تكرهون ولا يأذن فى

بيوتكم لمن تكرهون) .

سادسا : اظهار البشر له فتقابله فرحه مسروره ملازمة لما يرضيه لقوله صلى الله عليه وسلم " خير النساء من اذا نظرت اليها سرتك واذا أمرتها أطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك " .

وان اهمال هذه الحقوق وعدم القيام بها يعرض الاسرة لمتاعب لا حصر لها يظهر أثرها جليا في تلك القضايا التي تزدحم بها المحاكم الشرعية . فمن قضايا النفقة والطلاق التي تقيمها الزوجات . الى قضايا الطاعة وضم الاولاد التي يقيمها الازواج . الى قضايا أخرى لاتسمع لمخالفتها للقوانين الجديدة كقانون تحديد سن الزوجين وغيره من قوانين زادت رقعة مشاكل الاسره اتساعا وما من شك في أن هذه القضايا وما يتفرع عنها ويترتب عليها هي علة ما تقاسيه الاسرة المصرية من شقاء وعدم استقرار .

تسوء العلاقة بين الزوجين لأى سبب من الأسباب فتطرق الزوجة باب المحكمه الشرعية تطالب زوجها بالنفقة فيقابل الزوج هذا الهجوم بهجوم مضاد ويرفع دعوى هو الآخر يطالب فيها زوجته بدخولها في طاعته فتعمد الزوجة الى حكم النفقة أو أى

حكم آخر وتوقع به حجزا على مسكن الطاعة ليتجرد من شرعيته ويرفع الزوج دعوى ثانية يحدد فيها سكنا جديدا ٠ فاذا قدر له أن يفوز في هذه المرة بحكم فان الزوجة تستشكل في تنفيذه زاعمة أن المسكن مشغول بسكنى أحد أقاربه وتعرض قضية الاشكال من جديد أمام المحكمة وقد تثبت الزوجة دعواها بشهادة شاهدين وقد تقرر المحكمة معاينة المسكن بواسطة شخص تنتدبه وقد يكون هذا الشخص ضعيفا فيقع تحت تأثير أحد الطرفين وفي كثير من الاحوال يكون الدافع للمرأة على أمان دعوى النفقة هو اثقال كاهل زوجها ليطلقها تحقيقا لرغبتها أو رغبة في التخلص منه ٠ ولان اثارت هذه المشاغبات عجيبة فأكثر من ذلك اثارة للعجب أن تسير المحكمة مع الزوجين الى نهاية الشوط وكأنها بذلك تشاركهما في عيثهما وتعطي لخصوم الشريعة الاسلامية أسلحة يحاربونها بها ٠

ولو أنصف الناس فيما بينهم وراقب كل من الزوجين ربه لما شاهدت ساحة المحكمة تمتلئ بالقضايا العديدة بين الزوج وزوجته ولا أدري كيف يستسيغ هؤلاء تلك الالفاظ التي يتلفظون بها أو كيف يرضون لأنفسهم أن تشهد ساحات المحاكم ماكان يدور بينهم

في سرية تامة وفي أماكـن لايجوز لأحد أن يدخلها الا من أباح الله له ذلك ٠

ولكن الناس انصـرفوا عن طريق الحق والصواب وابتعدوا عـن أحكام الله عز وجل وعن تشريعاته الرشيدة وزين لهم الشيطـــان أعمالهم فانطلق كل من الزوجين يعمل من أجل الكيد للاخر ويعمل عـلى التشهير به والاساءة الى سمعته ٠

ولو أن القاضي استلهم روح الشريعة الاسلامية وأراد أن يعالج هذه القضايا الاسلامية على ضوء تعاليم الدين الاسلامي لأمكنه ذلك بتطبيق تشريعات اللـه عز وجل ٠ ولو فعل ذلك لقضى على كثيـر من المشاكل في مهدها ولكن كثرة القضايا اليومية التي ينظرهـــا القاضي لاتساعده على بحث الحقيقـة ولا تسمح له بأن يبحث كـل مشكلة بحثا جديا وهو في نفس الوقت لايريد أن يتعب نفسه ويضيع وقته في بحث هذه القضـايا العديدة ٠

ولو أنه أراد الاصـلاح لوجد الدواء الشافي من كتاب الله عـز وجل ومن سنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ولنتأمل في قـول الله عز وجـل ٠ (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهلـه

وحكما من أهلها ان تريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) .

ولو أن القاضي طبق حكم الله في ذلك وعهد الى رجلين مخلصين من أقارب الزوج والزوجة لبحث أسباب الخصومة بين الزوجية أومحاولة ازالتها والعمل على ايجاد حل يعمل على راحة كل من الزوج والزوجة لكان ذلك أبقى وأصلح .

ومن فضل الله علينا وعلى الناس أن القرآن الكريم لم يترك لنا صغيرة ولا كبيرة الا بينها ورسم لنا الحل الامثل لحلها وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها الكثير والكثير لعلاج هذه المشاكل فاذا كرهت الزوجة زوجها ورغبت في الخلاص منه فعليها أن تخفف عن الزوج بأن ترد له كل ما أخذت حتى تطيب خاطره وتهون عليه لأنه ليس من المعقول أبدا أن تطالب زوجة زوجها بالطلاق وتجاب الى طلبها وتترك الزوج المسكين فارغ اليدين بعد بذل كل رخيص وغال من أجل الوصول الى تحقيق غرضه في الاقتران بهذه المرأة . ولا يهمنا ان كانت الزوجة ظالمة أو مظلومة لأن الواجب على كل من الزوج والزوجة أن يتقي ربه وهو أعلم بما في النفوس

والصدور وهو أقرب الى الانسان من نفسه وقلبه وهو أعلم بمن اتقى فماد امت الزوجة تطلب التطليق من زوجها فأولى لها أن تضحى كما ضحى الزوج أولا .

لاننا نطالب الزوج عندما يطلق زوجته بأن يدفع النفقة الى زوجته ومؤخر صداقها وما يترتب على الطلاق من حقوق وواجبات جاءت امرأة ثابت بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له : يارسول الله ثابت بن قيس لا أعيب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الاسلام — تريد بالكفر: عزم القيام بحقوق الزوج كما أمر الله عز وجل — وليس المراد حقيقة الكفر .

وفي روايات أنها قالت : اني رفعت جانب الخباء فرأيته قد أقبل مع عدد من أصحابه فاذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها . فقال زوجها : يارسول الله : اني قد أعطيتها أفضل مالي فقال صلوات الله وسلامه عليه : أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم وان شاء زدته فقال له صلوات الله وسلامه عليه : " اقبل الحديقة وطلقها تطليقة " .

وهذا هو أول خلع وقع في الاسلام فتلك تعاليم الاسلام واضحة

ناصعة بيضاء لا ريب فيها ولا اعوجاج لا يزيغ عنها الا هالك أو فاسق أو منافق . والمسلمون الاوائل حينما فهموا أحكام الشريعة الاسلامية وطبقوها أراحوا واستراحوا لأن الحل الأمثل أمامهم يطبقونه دائما حتى لا يعيشوا في مشاكل أو متاعب وهذا هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير على هذا النهج الحكيم ويفرق بين زوجين ظهر له بعد مناقشتهما أن الحياة بينهما مستحيلة ولا يمكن أن يشعر كل منهما بالمودة والرحمة التي من أجلها شرع الزواج . حيث قال الله عز وجل في محكم آياته : (خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ..

فحينما ظهر لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الزوجة تكره معاشرة زوجها فرق بينهما . فقد أتى بامرأة ناشز فأمر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تبيت هذه الزوجة في مكان كريه .. وأرسل الى هذه الزوجة في الصباح وسألها سيدنا عمر فقال لها كيف وجدت حالك في هذه الليلة .

فقالت الزوجة : ما وجدت راحة منذ أن كنت عنده الا هذه الليلة التي حبستني فيها في هذا المكان .

فقال لزوجها : اخلعها أى طلقها تطليقة ..

وان دل هذا على شئ فانما يدل على سماحة الاسلام وعدالته.
فتلك العلاقة الزوجية بين الزوج وزوجته لاينبغى أبدا أن تبنى
على المشاكل ولايكون هناك مشاكل بين الزوج وزوجته لأن ذلك
ينعكس على طبيعة الانسان وعلى تصرفاته والرجال والنساء فى
ذلك سواء . وياليت الامر يقف عند هذا الحد بل يتعداه الى الاولاد
فنراهم يعيشون فى متاعب نفسية ويشعرون بالمتاعب والآلام ويصابون
بالأمراض.

وبالرجوع الى الحقيقة نجد أن المشاكل هى التى جلبت للاسرة
تلك المتاعب . فكيف ينعم الطفل الصغير بالسعادة بين أبويه
وهما لايشعران بالسعادة ؟ بل كيف ينعم كل من الزوجين بالعيش
مع الاخر وهما يعيشان فى تنافر ؟

وما لهذا أمر الله كلا من الزوجين أن يعيش مع الاخر تحت
سقف واحد . وانما شرع الله الزواج وأمر الله كلا من الزوجين أن
يعيش مع الآخر فى بيت واحد وتحت سقف واحد من أجل المودة
والرحمة والسعادة والهناء .

والأسـرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع فاذا صلحـت الأسرة صـلح المجتمع واذا فسدت الأسـرة فسد المجتمع كلـه .

قال تعالى في أول سورة النساء :

(يا أيها الناس اتقـوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحـدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقـوا الله الـذي تساءلون بـه والأرحام ان الله كـان عليكم رقيبـا) .

الفصل الحادى عشر
حكمة الإسلام فى تعدد الزوجات

" الحكمة في تعدد الزوجات "

يقول الله عز وجل :

(فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لاتعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم)

وهذه الآية الكريمة صريحة في اباحة التعدد بشرط تحقق العدل بين الزوجات وعدم ايقاع ظلم على زوجة من الزوجات .

والعدل معناه : التسوية بين الزوجات في المسكن والنفقة والمبيت ولايدخل الميل القلبي في هذا لأن العبد لايملك ذلك . والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة طيبة وأسوة حسنة فقد ثبت أنه قال : " اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك " وعلى ذلك يحمل قول الله عز وجل : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) .

ففي قوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل) اشارة الى أن بعض الميل قد يكون لأن هذا ليس من مقدور الزوج .

وليس من المعقول أن يبيح الله سبحانه وتعالى للزوج أن يتزوج بأربع زوجات ثم يمنعه من ذلك لوجود الميل القلبي نحو بعض الزوجات دون بعض • وهو أمر لا يقدر عليه الانسان ولا يملكه •

والجمع بين أكثر من واحدة قد ثبتت مشروعيته بالكتاب والسنة والاجماع • وعن قيس بن الحارث رضي الله عنه قال: أسلمت وعندي ثماني نسوة فأتيت الرسول صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال: "اختر منهن أربعا" رواه أبو داود وابن ماجة •

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أسلم غيلان الثقفي وتحته عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعا • رواه أحمد والترمذي •

وعن نوفل بن معاوية قال: أسلمت وتحتي خمس نسوة فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "فارق واحدة وامسك أربعا" • رواه البيهقي •

وفي هذه الادلة الواضحة خير دليل على اباحة التعدد اذ لو كان التعدد ممنوعا في الاسلام لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم كل زوج عنده أكثر من واحد أن يمسك واحدة ويطلق الباقي فيما

زاد على واحدة بل ان هناك من تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم ما يؤكد اباحة الاسلام لتعدد الزوجات ٠

فعن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " للبكر سبعة أيام وللثيب ثلاث ثم يعود الى نسائه " رواه الدارقطني ٠

ولو كان التعدد ممنوعا لما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقة القسم بين الزوجات ٠ والاسلام حين أباح التعدد أراد أن يتمشى مع ظروف كل انسان في كل زمان ومكان ويعالج أدواء المجتمع علاجا سليما يقضي على ألوان الفساد قضاء مبرما ٠

فأباح الاسلام للرجل أن يتزوج بزوجة أو اثنين الى أربع ليحارب جريمة الزنا واتخاذ الاخدان والخليلات ٠

وليبقي بهذا التعدد على الزوجة العقيم أو المريضة اذا أراد زوجها أن يتزوج بزوجة أخرى سليمة صالحة للانجاب رحمة بالمريضة أو العقيم وحرصا على راحتها ٠

ولو كان التعدد ممنوعا لكان نصيب هذه الزوجة البائسة هو الطلاق فهل يكون ذلك من العدل أم لا ؟

رجل تزوج بزوجة ومرضت أيطلقها ويتزوج بغيرها أم يبقيهـــا ويتزوج بزوجة أخرى ؟ أيهما أخف على نفسية المرأة ؟

وسوف نجد الاجابة على ذلك : ان ابقاء الزوجة المريضة فـــي بيت زوجها أفضل بكثير من طلاقها ٠ وحينما أباح له الاسلام ذلك نظر الى حكمة أخرى وهي حالة الزوج النفسية فحينما لايجد فائدة في زوجته اما أن يذهب لاتخاذ الخليلات والعشيقات أو يعيش مع هذه الزوجة بنفس غير راضية وحياة كلها نكد وألم ولا يبحث عن علاج الزوجة ولايعمل على راحتها ويتمنى اللحظة التي تأتـــي ليستريح فيها من هذه الزوجة ٠

ونرى في أعقاب الحروب يكثر عدد النساء ويقل عدد الرجال ٠ فلو لم يعالج الاسلام هذه المشكلة باباحة التعدد ويوجد الحل لهذا العدد الكثير من النساء لكانت المصيبة العظمى والطامة الكـــبرى نتيجة لفقدان العائل ومن يقوم على شئونهن من الأزواج ٠

وان دول أوربا التي منعت التعدد زمنا طويلا نراها عقـــب الحروب قد نادت باباحة التعدد حفظا لكرامة الزوجة وصـــونة لعفافها ونسلهـــا ٠

قال جوستاف لوبون في كتابه: روح السياسة : ان تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين خير لانه يقضي على تعدد الزوجات الخبيث المؤدي الى زيادة اللقطاء عند الغربيين .

وهذه كاتبة غربية تقول في جريدة لاغوص :

البلاء كل البلاء في اجبار الرجل الاوربي على الاكتفاء بواحدة ، فهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شوارد . وقذف بهن الى التماس أعمال الرجال ولابد من تفاقم الشر اذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة .

وقالت هذه الكاتبة :

فلو كان تعدد الزوجات مباحا لما حاق بأولئك الأولاد وبالامهات ما هن فيه من العذاب .

فهل يجوز لعاقل بعد هذا أن يقول : ان التعدد ليس من الاسلام في شئ ، ويقوم على مناهضته من أعمى الله بصيرتهم وختم على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة .

لأن اباحة التعدد قد ثبت بنص القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وباجماع الامة الاسلامية .

ومن ينكر اباحة التعدد فانما هو كافر لانكاره نصا من نصوص الشريعة الاسلامية الغراء الذى ثبت تواتر نقلها عن طريق الكتاب والسنة والاجماع .

وما أباحه الله لايقيده انسان .

الفصل الثانى عشر
الحكمة فى تعدد زوجات النبى صلى الله عليه وسلم

" حكمة تعدد زوجات الرسول "

ان من ينظر الى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقف عند زواجه بكل زوجة يقف على حقيقة الامر ويعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما تزوج بعدد كبير من النساء وتجاوز بالعدد الذى أباحه لغيره لحكمة بالغة ومصلحة اجتماعية والتى توضح لنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن رسول دين فقط • بل كان رسول دين واجتماع واصلاح وتهذيب •

ونلخص الآن الأسباب الداعية الى تعدد زوجاته والتى تبرىء الرسول صلى الله عليه وسلم من كلام المغرضين وتشكيك المشككين •

وكما هو معروف أن أول زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم هى السيدة خديجة رضى الله عنها وقد تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وهو ابن خمس وعشرين سنة وكان عمرها أربعين سنة • ولم يتزوج الرسول صلى الله عليه وسلم عليها حتى توفيت •

وسبب زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة رضى الله عنها أنها كانت ذات مال كثير وكان قد سبق لها الزواج قبل زواجها

برسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم لزواجها عدد كثير من أشراف مكة كلها ورفضت الجميع لأنها علمت بأن الجميع يطمع فى مالها ·
وكان لها تجارة عظيمة فلما سمعت بأمانة رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت اليه وعرضت عليه أن يتاجر لها فى مالها وقبل الرسول ذلك وسافر معه عبدها ميسرة ·
ولما عاد بالتجارة أخبر العبد ميسرة سيدته بما رأى من بركات الرسول صلى الله عليه وسلم وزادت دهشتها أكثر حينما لاحظت أن التجارة فى هذا العام قد زادت أضعاف أضعاف ما كانت تربح قبل ذلك · فأعجبت بأمانته وخلقه ونزاهته وسمعته الطيبة ·
ونتيجة لذلك قد تم الزواج المبارك بين رسول الله والسيدة خديجة وقد رزقه الله منها بالولد · وأنجبت له جميع أولاده ماعدا ابراهيم فانه من مارية القبطية ·

وماتت رضى الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنوات ولم يتزوج عليها فى حياتها ولو كان رجلا شهوانيا أو صاحب نزوة لتزوج وهو فى عنفوان شبابه لاسيما وانه كان مرغوبا فيه بين الناس لما اشتهر به من مكارم الاخلاق وحميد الخصال والجمال الذى فاق به يوسف عليهما السلام ·

الثانيـه :

بعد أن ماتت السيدة خديجة رضى الله عنها تزوج النبـــى صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة العامرية القرشـية بعـــد أن جاوزت الخمسة والخمسين من عمرها وكانت من السابقين الى الاسـلام وهاجرت مع زوجها السكران بن عمرو الانصارى الى الحبشة فى المـرة الثانية ومات عنها زوجها عقب رجوعه من الهجـرة وكانت قد أسلمـت وتركت أهلها لأنها خالفتهم دينهم .

وما أعظم مافعله الرسول مع تلك السيدة الفاضلـة المؤمنة ، لقد كرمها أحسن تكريم وعوضهـا عن زوجها خيرا وهذا هو عين الحكمـة ومنتهى الشفقـة والاحسان بعد أن أصبحت لا حامى لها ولا مدافع عنها سوى أقاربها الذين خالفتهم دينهم وأسلمت رغم أنوفهم .

ولولا موقف الرسول صلى الله عليه وسلم معها وتزوجه بها لارتدت على أعقابها خاسرة وكان ذلك أكبر سلوان لها على فقد زوجها وقـــد عوضهـا الله خيرا بتشريفها من الزواج برسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثالثة: هي السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها :

بعد أن مات أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم اشتد الاذى برسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أن يجعل بينه وبين قريش رابطة قوية فعقد زواجه على السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهي بكر صغيرة بين السادسة والسابعة من عمرها ٠ ذلك لأن أبا بكر كان ذا وجاهة في قومه وكما يشهد التاريخ أنه كان الساعد الايمن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ضحى بماله وبكل ما يملكه من أجل نصرة الاسلام والمسلمين وقد بادر النبي صلى الله عليه وسلم بالعقد عليها بالرغم من صغر سنها ولم يدخل بها الا وهي بنت تسع سنين ٠

ومن هنا نلحظ أن السيدة عائشة رضي الله عنها عند العقد عليها لم تكن محلا لقضاء شهوة لانها لم تكتمل في ذلك الوقت أنوثتها وبالتالي فليست ممن يفتتن بها وهي في مثل تلك السن ولكن هذا هو عين الحكمة والصواب الذى أيد الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ٠

الرابعة : حفصـة :

لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصـة بنت عمر بن الخطاب طمعا في مالها أو رغبة في جمالها ولكن لحكمة بالغة وهي : أنها كانت متزوجـة من رجل اسمه خنيث بن حذافـة وقد استشهـد في غـزوة بدر وحفصـة رضي الله عنها لم تكن ذات جمال فأراد الرسول أن يتزوجها تكريما لزوجـة الشهيد الذي ضحى بماله من أجل الاسلام وتكريمـا لوالدها عمر بن الخطاب وتكريما للمرأة الفاضلة لأنها كانـت مواسية للجرحى في غزوة بدر ٠فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلـم وبهذا تظهر الحكمـة من زواجها ٠

الخامسة : أم حبيبـة :

هي أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب واسمها (هند أو رملة) تزوجت عبيد الله بن جحش ثم أسلمت مع زوجها وتركت دين آبائهـا وأجدادها وماكان يعبده قومها ٠ هاجرت مع زوجها الهجرة الثانيـة الى الحبشة ولكنه تنصر هناك ومات بعد ذلك بينما هي قد ثبتت على تمسكها بالدين الاسلامي ٠ فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلـم

الى النجاشي ليزوجه أباها فأخبرها النجاشي بذلك فسرت سرورا عظيما بهذا الخبر السعيد .

ونحن نعلم أن بني أمية كانوا من ألد أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن حرب لم يعلن اسلامه الا بعد أن فعل بالمسلمين كل ما قدر عليه . ونلحظ من هذا أن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من أم حبيبة له غرض أسمى وهو حمل بني أمية على تقليل الاذى عنه وعن المسلمين .

ولقد اختارها الرسول لنفسه لشرفها في قومها لانها لو زوجت من غير كفء لاتخذ بنو أمية ذلك ذريعة لاثارة الفتن وايقاد نار الحرب .

ولأن هذه السيدة الفاضلة قد خرجت من ديارها فارة بدينها وفي عدم حمايتها تعريض الى مقاساة الشدائد والأهوال .

فما أجمل ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم وما أعظمه من انسان كريم صاحب خلق عظيم .

السادسة : جويرة :

هي جويرة بنت الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق : وكانت من سبايا بني المصطلق فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد

أن أعتقها ليقتدى به المسلمون ذلك لأن أسرى الحرب خاصة من النساء كن يتخذن جوارى ولما تزوج الرسول بها اعتق المسلمون من كان بأيديهم من الاسرى اكراما لمصاهرة الرسول صلى الله عليه وسلم فأسلم بنو المصطلق جميعا .

عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء بنى المصطلق فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس فأعطى الفارس سهمين والراجل سهما واحدا فوقعت جويرية بنت الحارث فى سهم ثابت بن قيس فجاءت الى الرسول فقالت : يارسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد أصابنى من الامر ما قد علمت وقد كاتبنى ثابت على تسع أواق فأعنى على فكاكى . فقال أو خير من ذلك ؟

فقالت : ماهو؟ قال أودى عنك وأتزوجك فقالت: نعم فقال : قد قبلت فخرج الخبر الى الناس .

فقال أصهار رسول الله يسترقون فاعتقوا من كان بأيديهم من الأسرى فبلغ عتقهم مائة بيت فتزوج الرسول منهم . فياله من صنيع حكيم ملىء بالرحمة والحكمة .

السابعة : صفية :

وهي صفية بنت حيي ابن أخطب سيد بني النضير من أشرف بيوت اليهود . وقعت في السبي بعد وقعة خيبر .

عن ابراهيم بن جعفر عن أبيه قال : لما دخلت صفية على رسول الله قال لها: ألم يزل أبوك من أشد اليهود لي عداوة حتى قلته الله فقالت ان الله يقول في كتابه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فقال لها : اختاري فان اخترت الاسلام أمسكتك لنفسي وان اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك لتلحقي بأهلك فقالت يارسول الله لقد رغبت الاسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني ومالي في اليهود ارب ومالي وإله ولا أخ وخيرتني الكفر والاسلام فالله ورسوله أحب الي من العتق وأن أرجع الى قومي . قال فأمسكها رسول الله لنفسه . وقد رضيته زوجا لها مع أنه خيرها في ذلك .

الثامنة : أم سلمة :

هي هند زوج أبي سلمى عبد الله بن عبد الاسد ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وكان زوجها أخا لرسول الله من الرضاع .

مات أبو سلمة ومعها أربع بنات : برة • سلمة • عمرة • درة •

فأواها الرسول صلى الله عليه وسلم وتزوجها بعد أن اعتذرت قائلة :

اني امرأة مسنة وأني أم أيتام واني شديدة الغيرة •

فأجابها الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : الايتام أضمهم الى

وأدعو الله أن يذهب عن قلبك الغيرة •

ولم يهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بسنها لأنه كان من أقوى الدواعي للاسراع في طلبها عطفا عليها ورضا بها وبيناتها ووفاء بحق أخيه من الرضاع وايواء لصغاره من بعده • لأنه من الذى كان سيرعى البنات الصغيرات بعد فقد هن لوالدهن ؟

ولا شك أن هذا العمل من رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عين الحكمة وغاية الكرم •

التاسعة : زينب بنت جحش :

والسيدة زينب رضي الله عنها كانت قد تزوجت بزيد بن حارثة الذى رباه الرسول صلى الله عليه وسلم وأعتقه وتبناه وطلقها زيد ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وكانت زينب ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت

عبد المطلب . وقد اختارها الرسول زوجة لمولاه زيد مع اباشها وابـاء أخيها عبد الله بن جحش ولازالت كـذلك حتى نزل في حقها قـــول الله تبارك وتعالى (وماكان لمؤمن ولامؤمنة اذ قضى الله ورسولـــه أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسولـه فقد ضـل ضـلالا مبينـا) .

وكأن السيدة زينب قد أرغمت على الزواج من زيد بن حارثـة ذلك من أجل مصلحة اجتماعية عظيمـة .

فلقد كان الرجل قبل الاسلام لايتزوج زوجة ابنه من التبنـــى فأراد الله عز وجل أن يقطع تلك العادة فكان أمر زواج زينب من زيـد ثم طـلاقها منه ليتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولو كان للجمال سلطان لكان سلطان البكر أقوى لأن جمـــال البكر وقاء رحمها وطيب نفسها وعدم اطـلاعها على الرجال من أكـبر الدواعي على الرغبة فيها وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرى زينب منذ صغرها وكبرت على يديـه فلو كان له فيها مطمع لما أمر زينـــب أن تتزوج بزيـد .

ولم يعرف فيما يغلب على مألوف البشـر أن تعظم شهوة القريـــب

وولعه بالقريب الى أن تبلغ درجة العشق خصوصا اذا كان معاشرا له منذ صغره بل أن المألوف هو الزهد في الاقارب متى نشأوا منذ صغرهم مع بعضهم بعضا .

وكيف يتوهم متوهم فيمن أدبه ربه أن ينظر الى زوجة مولاه وهو الذى رباه ورباها والرسول صلى الله عليه وسلم معصوم من الدنايا فكيف يتصور عاقل ما يقوله أعداء الاسلام في حق الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقال جل شأنه : (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) ذلك من عدل الله عز وجل أن لا ينال حق الابن الا من كان ابنا من النسب أما المتبني فلا يكون له الا حق المولى الأخ في الدين .

وكان من عادة المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يبادر في كثير من شرائعه الى اقامتها بنفسه ليكون قدوة حسنة ولكى تحمى تلك العادة التي كانت وبالا على أهلها .

كان تزوجه بزينب اذ ألهمه الله عز وجل أن يتولى الأمر بنفسه في أحد عتقائه لتسقط تلك العادة قولا وعملا . لهذا أرغم

النبي صلى الله عليه وسلم زينب أن تتزوج بزيد وهو مولاه ومتبناه وبعد أن صارت زينب الى زيد لم يذهب جفاؤها له بل شمخت بأنفها كبرا اذا كانت من صميم قريش وهو مولاهم وصارت تؤذى زوجها وتفخر عليه . وكانت زينب كلما اشتد ايذاؤها لزوجها يذهب زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشكو اليه سوء معاملة زوجته وكان الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل مرة يقول له :

" امسك عليك زوجك " . لكن الله سبحانه وتعالى عاتبه ولامه بعد أن أخبره أن زيدا سيطلق زوجته ثم يتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم قطعا لعادة التبنى فقال جل شأنه (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)

وبعد أن ضاق الامر بزيد طلق زوجته وبعد انتهاء عدتها تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا)

وكل ما قيل من أقاويل بخصوص زواج المصطفى صلى الله عليه وسلم من زينب فكله باطل لا أصل له من الصحة لأنه معصوم من كل

ما اتهم بـه وهو بريء من جميع التهم الموجهة اليـه ٠

وقال الامام أبو بكر بن العربي : انه باطل لايصح النظر اليـه فانه كان معها في كل وقت وموضع ولم يكن هناك حجـاب يمنعها منه فكيف تنشأ معه وينشـأ معها وينظر اليها في كل ساعة ولا تقـع في قلبه الا اذا كان لها زوج وقد وهبته نفسها وكرهت غيره فلم يخطـر ببالـه ٠ فكيف يتجـدد الهوى بعد العدم ٠

حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة ٠ وقد قال تعالى (ولاتمدن عينيك الى ما متعنا بـه أزواجا منهم زهرة الحيـاة الدنيا لنفتنهم فيـه)

والنساء أفتن الزهرات وأنشر الرياحين ولم يخالف هـذا فـي المطلقـات فكيف في المنكوحـات المحبوسـات ؟ ا ٠هـ

العاشرة : ميمونـة بنت الحارث الهلاليـة زوج عمه حمزة بن عبد المطلب شهيد غزوة أحد ولايخفى مافي ذلك من البر وحسن الصـلة ٠

وهكـذا كانت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع زوجاته ٠ فأي شهـوة وأي نـزوة سيطـرت عليـه ؟

كل زوجة من زوجاته كان لها ظروف قاسية فكان لابد من تخفيف آلامها ولابد من تكريمها ورفعة قدرها واعلاء شأنها حتى لاتذل المرأة أو تعيش عالة على غيرها .

ما أعظمه من انسان ؟ وما أكرمه من رسول ؟ وما أفضله من مصلح اجتماعى عظيم ولو كان صاحب نزوة كما يقول أعداء الاسلام لتزوج أثناء شبابه أوعلى الأقل كان يختار من النساء من يصفن بالجمال والشباب .

أما وقد تبين لنا الأمر واتضح لنا حقيقة الأمر فقد ثبت لديناكما هو ثابت دائما وأبدا عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم من كل ما اتهمه به الأعداء .

وصدق الله اذ يقول (وانك لعلى خلق عظيم) .

خاتمة

وبعد : أيها الشاب : -

فهذا هو الإسلام ، وهذا هو رسول الله ﷺ وهذه هى الأسرة المسلمة فى بنائها ، وتلكم هى دعائم وأركان بقائها وحفظ كيانها ، واستقرار أفرادها ، تلك هى الأسرة التى يسعى إليها أعداء الإسلام فى الغرب والشرق لتدميرها بكل ما يملكون من قوة ، فهل نفيق ؟!